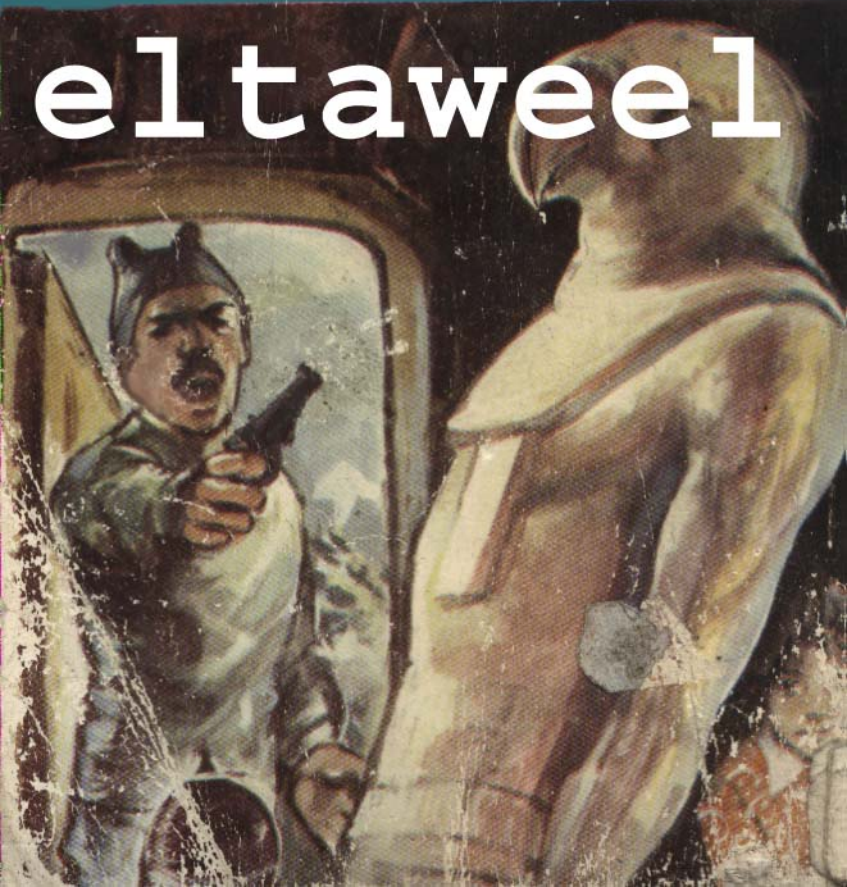


قصص
بولسية
علاوية

لفز الوادي الرهيب



e1tawee1



أفلس كبير



العقيد «مدوح»

علمنا أن المغامرین
الثلاثة : « عامر » ،
و« عارف » ، و« عالية » ،
قد تمكنوا من حل لغز
الخريطة العجيبة في مغامرتهم
الأخيرة . وأنهم قد توصلوا في
النهاية إلى العثور على الكثر
الشمين !

وما إن رجعوا إلى القاهرة

من مرسى مطروح ، حتى كانت نتيجة الامتحان النهائي
في انتظارهم ، وهي النجاح الباهر بتفوق ممتاز . وهي المكافأة
الشمينة التي كانوا يستحقونها .

كانوا يلتفون حول والدهم ووالدتهم وهم يتجاذبون معهما
أطراف الحديث ، ويذكرون جدهم الطيب « عمران »
بالخير الكثير .

والآن هم في انتظار وصول « سمارة » من مرسى مطروح .

بعد أن أقتنوا والدهم باستدعائه لاستكمال دراسته معهم في
القاهرة ، وليعيش معهم تحت سقف واحد كأخ رابع .
وقد وافق الجدّ « عمران » على هذا الاقتراح عن طيب
خاطر ، مكافأة « لسارة » المخلص الأمين ، الذي كان سيباً
في إنقاذ حياته من بين يدي « مبروكة » وابنها « سلطان » !
وصل « سمارة » إلى المنزل ، وقد أصبح الآن ثرياً بعد أن
حصل على نصيبه من الكثر . وكان يحمل في يده قفصاً جميلاً
من السلك المزخرف ، بداخله البيغاء الذكية فصيحة اللسان
« زاهية » ، آثر أن يصطحبها معه إلى القاهرة ، كهدية لطيفة
منه إلى عائلته الجديدة .
وما إن رآته « عالية » وهو يحسك بالقفص الجميل في يده ،
حتى بادرت بالسؤال : وأين معزتك « ظريفة » يا « سمارة » ؟ .
فضحك وأجابها : تعذر اصطحابها معي في القطار ، فوهبتها
إلى أحد الفقراء ليعتنى بها ، بعد أن شئت وتمت وبرت ساقها .
فرح المغامرون الثلاثة برؤية « زاهية » . أما القط الأسود
« مرجان » فكان له معها شأن آخر ! إذ كثر لها عن أبيابه ،
وماء في وجهها ، فهو قد شعر بفرغته أنها ستكون منافساً قوياً
له في تدليل العائلة له .

ولم يكن هناك حديث للمغامرين الثلاثة إلا عن رحلتهم
المقبلة إلى ساحل البحر الأحمر ، خلال إجازة نصف السنة
الدراسية التي كانت ستبدأ بعد أيام معدودات .
فقد اقترح خالهم « العقيد ممدوح » أن يصطحبهم معه
إلى هذه البقعة الجميلة من أرض مصر ، لبروحوا عن أنفسهم
من عناء الدراسة . وقد وافق والدهم على هذا الاقتراح ، ولكنه
اشتراط ألا يزجوا بأنفسهم - كما دعتهم - في مغامرات جديدة ،
وكفاهم ما حدث في مرسى مطروح . أما والدهم فقد اعترضت
على هذه الرحلة معارضة شديدة . فهي تعلم أن أولادها الثلاثة
يتخذون من أبيهم مثلاً أعلى ، يحتذون به في الغامرة والمخاطرة ،
وهي الصفات التي كانت تحتمها عليه طبيعة عمله ومهنته
فالعقيد « ممدوح » هو قائد سلاح السواحل في محافظة البحر
الأحمر ، ومركز قيادته في ميناء « الغردقة » ، وهي إحدى
المراكز الهامة لاستخراج البترول في منطقة الخليج ، وله في
هذه المدينة منزل جميل بالقرب من شاطئ البحر .
واشتهر العقيد « ممدوح » بين إخوانه في سلاح السواحل
بمغامراته المثيرة في تعقب المهريين والمجرمين في هذه المنطقة .
ويحد هذه المنطقة من الشرق ، البحر الأحمر وخليج

السويس . أما من الغرب فتحدها الصحراء الشرقية ، التي
تشتهر بأوديتها ومسالكها ، حتى تصل وادي النيل . وتمتد فيها
سلسلة الجبال والتلال الصخرية التي تبدأ من مدينة السويس .
حتى تصل إلى إثيوبيا . وهي السلسلة الصخرية الوحيدة في مصر
كما أنها تتميز بالسيول المدمرة التي تجرف أمامها كتل الصخور
المسماة ، تسد بها الممرات الجبلية ، حتى تصل إلى الطريق
الساحلي الجميل والوحيد الذي يصل شمال مصر بجنوبها على
شاطئ البحر الأحمر ، فتقطعه وتجعله غير صالح للعبور !

وتشتهر هذه الجبال بكهوفها العجيبة التي تحتها المياه
المتدفقة على مرّ الملايين من السنين عبر التاريخ ، ومنذ أن حدث
الانشقاق في القشرة الأرضية في هذه المنطقة من إفريقيا ،
هبطت الأرض وتكوّن البحر الأحمر ، وارتفعت على جانبيه
سلسلة الجبال الصخرية العالية !

• • •

وصل العقيد « ممدوح » فاستقبلوه بالترحاب والتهلل
وجلسوا يتشاورون فيما بينهم فيما يجب عمله بشأن الرحلة
فأخبرهم العقيد « ممدوح » أنهم سيبدءون رحلتهم بعد يومين ،
أى في أول يوم من بدء إجازة نصف السنة وسيكون السفر

بطائرة خاصة صغيرة ، تملكها شركة « شل » للبترول بالگردقة .
وذلك لأن الطريق بالسيارة مرهق طويل ، فضلاً عن أن
السيول قد قطعت بعض أجزاء الطريق البري الساحلي
وأضاف أن الطائرة ستصل إلى مطار القاهرة الدولي من الغردقة
في الثامنة مساء ، لتقلهم إلى الغردقة في الحادية عشر ،
فيصلونها قبل الفجر !

كان الفرح يغمر الأربعة الصغار . فلا شك أن الرحلة
مثيرة غير عادية . فالسفر بطائرة خاصة ستقطع بهم أجواء مصر
في بهم الليل ، وإلى مكان جديد سمعوا عنه الكثير ولكنهم لم
يروا ! . فانهالت الأسئلة على الخال « ممدوح » . سألوه عن
الشعاب المرجانية الجميلة التي تشبه الحدائق الملونة بأشجارها
وأزهارها . وعن جزيرة « شدوان » الباسلة التي قاومت الغزو
الإسرائيلي ، وفنارها الذي يحذر السفن من الجزر الصخرية ،
والشعاب المرجانية التي تقع على مدخل خليج السويس .
وعن استخراج البترول من الأرض ومن عرض البحر الأحمر
وخليج السويس ، وعن الصيد تحت الماء بالحربة . وعن
« عروس البحر » ، ذلك الحيوان البحري الذي يشبه المرأة
الجميلة في تكوينها ، وعن المميزات التي ينفرد بها البحر الأحمر

بها دوناً عن باقي بحار العالم أجمع ، وعن متحف الأحياء
 المائية بالغرقة . وهكذا توالى الأسئلة حتى كان خالهم « ممدوح »
 لا يجد الوقت الكافي للردّ على استفساراتهم المتلاحقة .. !
 سأله « عالية » : هل يمكنك أن أصيد سمكة « قرش »
 صغيرة لأضعها في « فسقية » الحديقة ؟ .. وأسماها « الفكّ
 المفترس » ! فأجابها وهو يضحك : هذا مستحيل ! فالقرش
 لا يعيش إلا في المياه الفسيحة الدافئة شديدة الملوحة ، ذات
 المرعى الخصيب بالسّمك . فهو لا يتوقف عن الحركة والأكل
 ليلاً أو نهاراً . وهو إذا توقّف عن الحركة غرق ! لذلك فهو
 لا يعرف النوم . هكذا خلقه الله .

فسألته « عالية » : وكيف يغرق القرش ؟

فأجابها : لأن ليس له كيس هوائى كبقية الأسماك يطفو
 به في الماء ! فلا بدّ له من الحركة المستمرة والأهم من ذلك
 ليس للقرش خياشيم يتنفس منها !

ولما كان « عامر » قد شرع أخيراً في دراسة علم الحيوان والطيور
 والحشرات والأسماك ، فقد أخذ يتابع حديث خاله باهتمام
 بالغ ، وسأله : إذن كيف يتنفس القرش ؟ فأجاب : إن القرش
 و « المانتا » البحرية الهائلة ذات السوط اللاسع السام هما

المخلوقان الوحيدان اللذان لم يطرأ على تكوينهما تطوير يذكر
 منذ بدء الخليقة حتى الآن ! . فلحمهما عضلات ، وعظامهما
 غضاريف . وهذا هو سبب قوتها الخارقة ! والقرش يتنفس
 من خلال خمس فتحات على كل جانب من رأسه ، يدخل
 منها الماء في أثناء اندفاعه السريع ، حيث يمرّ في جهازه الداخلي ،
 فيمص منه الأوكسيجين اللازم لحياته . فهو إذا توقف عن
 العوم ، توقّف الماء عن الاندفاع داخل الفتحات ، وتوقف
 عنه الأوكسيجين !! فيموت !! فالقرش هو المخلوق المسكين
 الوحيد الذي لا ينام ، ولا يتوقّف عن الحركة والأكل لحظة
 واحدة - سواء أكل سمكاً أو خشباً أو صنيحاً إلخ - .

وكان « سمارة » يلزم الصمت في أثناء الحديث الطويل ،
 فهو يعلم الكثير عن الأسماك بحكم إقامته الدائمة على شاطئ
 مطروح . ولكنه سأل العقيد « ممدوح » أخيراً : هل يسمح له
 باصطحاب البيداء « زاهية » معهم في الطائرة ؟ فأجاب
 بالإيجاب ، على ألا تغادر قفصها ! أما القط « مرجان »
 فلا مكان له في الطائرة ، وهو ما سبّب الحزن العميق « لعارف » .
 وكانت « زاهية » تتبّع الحديث وكأنها تشاركهم فيه ،
 وهي تعودت على الانطلاق في المنزل بحرية ، تطير حتى تقف

على كتف « سمارة » تارة ، أو « عالية » تارة أخرى ، تداعبها بمنقارها المقوّس في أذنها ، أو في شعرها المسترسل . وكانت دائمة الثرثرة تكّرر كل ما يطرق سمعها من أصوات وكلمات .

» » »

وفي صبيحة يوم السفر ، انهمكت العائلة كلّها في ترتيب ما يلزم الرحلة . فشرعت الأم في تجهيز الطعام الخفيف . فملاّت سلّة كبيرة بالسندويشات المختلفة ، والبسكويت ، والشيكولاتة ، و « كيكة » كبيرة محشوة بالزبيب .

أما الصغار الأربعة فقد تزوّد كل منهم بملابسه الخاصة بالرحلات ، ووضعها في حقيبته ، و « ترموس » للمياه . واهتم « عامر » بصفة خاصّة بمراجعة بعض الأدوات التي لا غنى له عنها في رحلاته الكثيرة ، وهي : البوصلة ، والمناظير المعظم ، والمديّة ، وفتاحة العلب ، والحبل ، والبطارية الكهربائية . وكان العقيد « ممدوح » قد أشار عليهم بكل ما يلزم ، ونصحهم بصفة خاصة بالتزوّد بالبطاطين وبكليم ، فالجو بارد ليلاً على شاطئ البحر ، أو في الصحراء ، في مثل هذا الوقت من العام ، وهو ليس لديه منها ما يكفي الأربعة .

أما « سمارة » فكان أهمّ ما يشغل باله ، هو الحصول على



سأل « سمارة » العقيد « ممدوح » هل يسمح له باصطحاب البيغاء « زاهية » معهم في الطائرة ؟

كمية كافية من بذور زهرة «عباد الشمس» الصفراء الجميلة التي تواجه الشمس مع شروقها وغروبها وتدور معها .
 حان وقت الوداع عندما وصل العقيد «مدوح» بسيارته لينجيه بهم إلى المطار . وكان الوالدان يلهجان على «مدوح» في ألا يشرك الصغار معه في مغامرته المبهودة . فوعدهما بذلك ، وقال لهما لا داعي لقلقهما ، فالمكان هناك هادئ متعزل ، ولا مجال فيه للمغامرة والمخاطرة . وأنه سيكون مشغولاً عنهم في عملية خاصة ، سوف تملأ عليه كل وقته ! ولما سأله «عامر» عن هذه العملية الخاصة أجابه : هي عملية سرية خطيرة ، سأخبركم بتفاصيلها بعد إنجازها !
 تحركت بهم السيارة لتقلهم إلى مطار القاهرة الدولي ، وقد اكتظت بما حملت من حقائب وسلال ومتاع . وكانت «زاهية» تصيح بأعلى صوتها ، مقلدة صفير القطار ، كأنما تحتج على سجنها في القفص الجميل !
 كان الوالدان يشعان بالقلق المتزايد ، وإن كان «مدوح» قد طمأنهما على هدوء المكان وبُعده عن أية إثارة ، ووعدهما بالبعد عن كل عمل قد يحمل معه طابع المخاطرة .
 ولكن لو كان الوالدان يعلمان ما يجتبه القدر للأربعة

الصغار من مغامرات قل أن يجود الزمن بمثلها ، لما كانا فكراً في السماح لهم بمغادرة المنزل !
 كانت الساعة العاشرة والنصف مساءً عندما وصلت بهم السيارة إلى المطار ، وانتقل الجميع إلى الداخل ، حيث وضعت الحقائب في سيارة خاصة لتنقلها معهم إلى الطائرة الخاصة الصغيرة . وكان المطار كخلية النحل ، يموج بالحركة ، ويهتز من أزيز الطائرات ، منها طائرة عملاقة من طراز «چامبو» ، وقد قبعت بجوارها عن قرب طائرتان صغيرتان ذات طراز واحد وهما يكادان يختفيان في ظل الطائرة الجبارة !
 أعطى العقيد «مدوح» تعليماته إلى سائق السيارة بأن يتوجه بالأربعة الصغار إلى الطائرة ، وذلك إلى أن ينهى إجراءات سفر الطائرة ، وبعض المهام العاجلة الخاصة بعمله ، وأن ينتظروه حتى يصل إليهم .
 وصل السائق بسيارته أمام طائرة من الطائرتين الصغيرتين ، وكانت مروحتها تدوران استعداداً للقيام . وصعد الأربعة السلم ، تتقدمهم «عالية» ، ويتذيلهم «سمارة» وهو يحتضن قفصه الثمين ! وكان داخل الطائرة مظلماً ، ولم يكن في وسع أحدهم أن يعثر على مفتاح الإضاءة ، فوضعوا حقائبهم وبطاطينهم

أما « زاهية » فأخذت تصيح استنكاراً لوضعها مع العنوش .
فأخذ « سمارة » في تهدئتها بإعطائها القليل من بذور عباد
الشمس ، فصمتت وهي كارهة !

وكان مما أثار فضولهم ودهشتهم وجود صندوق خشبي كبير
يتوسط فراغ الطائرة . ترى أهو فارغ أم ملآن ؟ ربما كان يخص
« ممدوح » وسوف يصحبه معه حيث يعمل ! فقال « عامر » :
إن هذا الصندوق يسد الطريق إلى المقاعد ، فلنذهب الآن
إلى المؤخرة . ونفترش الأرض على البطاطين . إلى أن يصل
خالنا « ممدوح » لنسأله أن يزيح هذا الصندوق .

وما كادوا يجلسون في المكان الضيق وهم شبه ملتصقين ،
حتى أخذت الحوادث تتوالى بسرعة البرق .

فقد سمعوا فجأة صوت أقدام تصعد سلم الطائرة على
عجل . ورجل يدخل فجأة ثم يرتدى على مقعد القيادة .
ثم تبعه رجل آخر جلس إلى جواره وهو يلهث ! فتجمد المعامرون
في أماكنهم بدون حراك . . ما هذا الذي يحدث ؟؟ إنهم
لا يرون شيئاً في الظلام الدامس ! . أيكون أحد الرجلين هو
خالهم « ممدوح » ؟ ومن يكون الرجل الآخر . . أهو قائد

الطائرة ؟ ولماذا كل هذه العجلة ؟ ولماذا لم يحدثهم خالهم ؟
أصابهم الذهول ، وانعقد لسانهم وهم متجمعون في المؤخرة .
فقد بدأت الطائرة في التحرك ، وما لبثت أن حلقت في الهواء
بعد قليل ، وكان أزيزها يصم آذانهم . كانوا يقبعون صامتين ،
يختبئون وراء الصندوق الخشبي الكبير الذي كان يتوسط الطائرة .
همست « عالية » تقول لهم : أليس من العجيب أن خالنا
لم يهتم حتى بوجودنا معه في الطائرة ؟ أو يحدثنا ليطمئن علينا !
وما كادت تم جملتها حتى رأوا شبح أحد الرجلين وهو يقف ،
ويدير زراً كهربائياً ليسطع الضوء في كابينته القيادة ، على حين
ظل باقي الطائرة على إظلامه ! فأخذ « عامر » يتطلع ببصره
من وراء الصندوق تجاه الكابينة ، ثم قال بهدوء : كلاهما
غريب عنا !! وخالنا « ممدوح » ليس في الطائرة !! . .
فقالت « عالية » وهي بادية الاضطراب : ماذا تعني ؟ أليست
هذه طائرتنا ؟

وأخيراً نطق « عارف » وهو واجم ساهم : يا إلهي ! لقد
ارتكبنا خطأ فاحشاً . . إنها غلطة لا تغتفر . . لقد التبس الأمر
على سائق السيارة وأركبنا في الطائرة الثانية التي تجاوز طائرتنا !! . .



عامر

التصقت «عالية» بأخيها
«عامر» كأنما تحتمي به ،
وقالت والخوف بادٍ على وجهها
الشاحب : وماذا سنصنع
الآن إزاء هذا الخطأ ؟!

هذا صحيح .. ماذا
يمكنهم أن يفعلوه ؟.. لا شيء
البتة ! فليس طبعياً أن يجد
المرء نفسه معلقاً في الهواء ،

تكتنفه الظلمات ، وفي طائرة أخطأها ، ولا يعرف اتجاهها .
وبصحبة مجهولين لم يرههم في حياته من قبل !

كان الأربعة لا يرون إلا ظهر الرجلين ، ومؤخرة رأسيهما ،
وصورة جانبية لوجهيها عندما يتحدثان . ولكن ما رأوه كان
كافياً لأن يشعرهم بالتفور نحوهما !

قال «عارف» هامساً : ليس في مقدورنا أن نفعل شيئاً !
إننا الآن في ورطة ثقيلة . ولا شك أن الرجلين سوف يجنّ

جنونهما عندما يكتشفان وجودنا ! فأجابته «عالية» : ربما
قدفانا من الطائرة ! فما العمل وليس لدينا مظلّات النجاة ! !
لم يتالك الجميع أنفسهم من الضحك ، بالرغم مما هم
فيه من مأزق لا مخرج لهم منه . فليست هذه أول مرة - ولن
تكون آخرها - يجدون أنفسهم في مثل هذا الموقف العجيب .
كانوا يطمنون أنفسهم بأنها ما هي إلا مغامرة صغيرة عابرة ،
سوف يجتازونها بأمن وسلام ، كسابق عهدهم بالمغامرات !
وكان «عامر» يتدارس الموقف الصعب ، إلى أن قال : نحن
الآن نخشي في مكان أمين ، اللهم إلا إذا خطر لأحد الرجلين
أن يأتي صوبنا . وأملنا الوحيد في النجاة هو في أن يصل
الرجلان إلى نهاية رحلتهما ، ويغادران الطائرة دون أن يكتشفانا .
وعندئذ يمكننا أن نتسلّل من الطائرة ، لنذهب في طلب النجدة
والمساعدة !

كم هو جميل هذا الكلام ! .. ولكنه للأسف كلام يسهل
قوله .. ويصعب تنفيذه !

قالت «عالية» والدموع تكاد تظفر من عينيها : كنت أود
أن أمكث مع خالي «مدوح» .. وأصيد قرشاً من المردقة ! ..
إني أفكر الآن فيما هو فيه من همّ وغمّ بسببنا ! ترى ماذا يفعل

الآن ؟ فأجابها « عارف » : لا بد أنه قلب المطار رأساً على عقب في البحث عنا ، وأبلغ حرس المطار ، كما أبلغ والدينا باختفائنا المفاجئ ، وهما لن يصدقا ذلك ، بل سيعتقدان أننا أقدمنا على مغامرة حديثة . . ولن يثقا فينا بعد ذلك .

• • •

كانت الطائرة تحترق أجواز الفضاء في سكون الليل الدامس . ولم يكن لدى المغامرين أية فكرة عن اتجاه الطائرة . أهي تتجه شمالاً أم جنوباً ، شرقاً أم غرباً ؟؟ . . . وماذا بهم ذلك وهم لا يرون الأرض تحتمهم في الظلام الحالك !

وفجأة تذكر « عامر » بوصلته ! وبعد أن نظر فيها أخبرهم أنهم يتجهون نحو الجنوب الشرقى ! أما إلى أين فهو في علم الغيب . . وفي علم الرجلين الغامضين .

وأخيراً رأوا الأ فائدة تُرحى من التفكير والقلق والانتظار الملل ، فقرروا النوم ، وليكن ما يكون . فقد ابتدأت « عالية » في التثاؤب !

نام الجميع فيما عدا « عامر » الذي ظلّ متيقظاً ، احتياطاً للطوارئ والمفاجآت ! حتى « زاهية » . . فقد وضعت رأسها تحت جناحها ، وراحت في سبات عميق : إذا ما فائدة اليقظة

وهم سوف يفيقون حتماً عندما تحطّ الطائرة على الأرض !

أخذ « عامر » يعمل فكره في هدوء ، ولكنه اعتقد أن تفكيره قد شطّ به بعيداً عن حدّ المنطق والمعقول : ألا تكون هناك علاقة بين هذين الرجلين وبين خاله « ممدوح » ؟ . أم يذكر لهم « ممدوح » أنه سيكون مشغولاً عنهم بعملية سرّية خاصة ؟ ولكن ما علاقة هذين الغريبين بهذه العملية السرية بالذات ؟ إنه لا يعتقد أن هناك علاقة ، بل هي الصدفة المحضة التي جمعتهم في طائرة واحدة مع هذين الرجلين المشوهين ! .

وبينا هو في تهيؤاته وتخيلاته ، إذا به يفيق منها على الطائرة وهي تدور في حركات بهلوانية ، وبضغط شديد على طيلة أذنيه ، إيذاناً بأن الطائرة في طريقها لتحطّ على الأرض اليابسة .

وكان « عامر » يحدث نفسه قائلاً : والآن ستعرف أين نحن . . ويجب علينا أن نستعدّ لهروب سريع . عندما تحن الفرصة .

بدأ الفجر ييزغ عندما صدمت عجلات الطائرة الأرض صدمة قوية أيقظتهم فجأة . وأخذ الجميع يتساءلون فيما بينهم : أين نحن الآن يا ترى ؟ وعندما ساد السكون الرهيب جوّ الطائرة بعد أن توقفت محركاتها ، ظهرت علامات السعادة على وجوههم ، برغم شعورهم بالخطر الداهم المخدق بهم . .

لقد وصلوا... هذا صحيح... ولكن أين؟ كان الفجر على وشك البزوغ، دخل ضوءه الضعيف من نافذة الطائرة. وقف الرجلان استعداداً لمغادرة الطائرة، وأخذ أحدهما يحدث الآخر قائلاً: كان هبوطك بالطائرة رائعاً يا ريس «مجاهد»! فأجابه هذا المدعو الريس «مجاهد»: لقد تعودت على القيام والهبوط من هذا المكان يا «معروف». هلم بنا نذهب إلى الكوخ لتحضير طعامنا، فليس لدينا من الوقت ما نضيّعه!

كانت سعادة الأربعة الصغار غامرة عندما غادر الريس «مجاهد» و«معروف» الطائرة دون أن يلحظا وجودهم! ربما أمكنهم الآن الفرار وطلب النجدة! أو على الأقل إرسال كلمة مطمئنة إلى والديهم... وإلى خالهم «ممدوح»! قال «عارف»: لتنظر الآن من النافذة لئرى في أى مطار نحن!!... وربما شاهدنا ميكانيكياً أو عاملاً لنسأله أن يوصلنا بأحد المسئولين!..

تكالبت الأربعة على النوافذ وتطلعوا منها إلى ما حولهم. ولكن يا لها من صدمة رهيبة أصابتهم تماماً رأوا! لم يكن هذا المكان مطاراً، بل شريطاً ضيقاً من الأرض، تنمو فيه بعض



الطائرة في طريقها لتحط على الأرض اليابسة

الحشائش والنجيل ! كان وادياً ضيقاً تحوطه التلال العالية ،
والجبال الصخرية الشامخة من كل مكان !

انزعج « عامر » مما رأى ، وصاح قائلاً : يا إلهي ! أين
نحن ؟ يا له من مكان مخيف ! .. فطمأنه « سمارة » : هذا وادٍ
جميل . . ولكن عيبه أنه مقفر موحش .

فقال « عامر » : إنه كالصحراء التي يدربون فيها جنود
الصاعقة ! فسأله « عالية » : ماذا تعني ؟ فأجابها : لقد
أستقت القدر هنا . . فعلينا أن نجد ماءنا وطعامنا ومأوانا . .
وأن نشق طريقنا إلى بر النجاة ! ! تماماً كما يفعل جنود
الصاعقة ! .. فتساءلت « عالية » وهي مذعورة : أتعني أننا
الآن كجنود الصاعقة ؟ .. فأجابها : تماماً ! والفرق بيننا وبينهم
أننا لسنا مستعدين لهذه المغامرة ! ! ..

قال « عارف » : وكيف لنا أن نعثر هنا على النجدة ؟
وقالت « عالية » وهي حائرة : وماذا سنفعله الآن ؟ هل سنظَل
في الطائرة ؟

فقال « عامر » في هدوء : لا أعرف ما تفكرون فيه ! . .
ولكني أنا شخصياً لا أميل إلى هذين الرجلين ، ولا إلى الطريقة
التي غادرا بها مطار القاهرة . ولا أشعر بالميل إلى هذا الوادي

المهجور ! .. فقال له « عارف » : ومع كل هذا يحسن بنا أن
نعادر الطائرة لنستشفحاً حولنا ، لعلنا نصادف بعض الفلاحين .
وأخيراً قال « سمارة » : إني أعجب لأمر هذين الرجلين !
لا أصدق أنهما جاءا لي هذا المكان لغرض شريف ! والآن
يجدر بنا أن نخرج حالاً من الطائرة قبل فوات الأوان ! .. فأجابته
« عالية » : هذا كلام سليم ! يجب الآن أن نعثر على من
يساعدنا ، ويمكننا أن نبليغ خالنا « ممدوح » بما حدث عندما
نعود إلى القاهرة !

نظروا من النوافذ قبل مغادرة الطائرة ، ولكن آثار الرجلين
كانت قد اختفت تماماً ، وكأنهما دخان تبخر في الهواء ! .
قال « عامر » : يجب الإسراع ! ولكن ماذا سنصنع
بأمتعتنا ؟ .. وبالبيعاء « زاهية » ! ! ..

اقترح « عارف » ألا يتركوا في الطائرة أي أثر ينم عن
وجودهم ، وإلا اكتشف الرجلان أمرهم ! ثم غادروا الطائرة
على عجل وهم يحملون أمتعتهم ، وكان « سمارة » يسير في مؤخرة
القافلة الصغيرة وهو يحمل حقيبته وبطانيته في يده ، و« زاهية »
في قفصها في اليد الأخرى !
وفجأة صاحت « عالية » وهي تشير بأصبعها إلى مكان

بعيد : انظروا ! انظروا إلى هذا العمود المرتفع من الدخان !
فقال « عامر » : هذه نار أوقدها الرجلان ليطهيا طعامهما ،
ومن المستحسن أن تتفادى هذا الاتجاه ! ولناخذ هذا الطريق ..
فنظر إليه « عارف » في سخرية وهو يقول : أتسمى هذا
طريقاً !!

كان الطابور يسير في الاتجاه المضاد « لمجاهد » و « معروف »
بمحاذاة بعض الصخور الكبيرة الملساء ، إلى أن وصلوا إلى
جدول أسبه بالفتاة الصغيرة ، تجرى فيه المياه الصافية .

فقال « عالية » عند رؤيتها لهذا الجدول : من العريب
أتى لا اشعر بالجوع ، ولكنى أشعر الآن بالعطش !

تحدث إليهم « عامر » وقال : يجب أن نعثر على مكان
مناسب لنختبئ فيه مع أمتعتنا ، بعيداً عن أعين « مجاهد »
و « معروف » ولكن المشكلة في أين نذهب ؟ .. وهنا اقترح
عليه « سمارة » وهو يشير بعيداً : سنتقدم إلى الأمام في هذا
الاتجاه ، وتسلق هذا التل الذي يشرف على الوادى لنستطلع
منه مكان الطائرة ، لأنها لو غادرت الوادى لبقينا فيه إلى
الأبد .. وهناك بعض الأشجار يمكننا أن نختبئ فيها .

ارتقوا التل حتى وصلوا إلى حيث ترتفع بعض الأشجار

المتناثرة . ولكنهم وجدوا أن الطائرة لا تظهر من هذا الموقع !
ولكن « عامر » تسلق شجرة عالية ضخمة في خفة القرد .
حتى أمكنه مشاهدة الطائرة وهي تريض في أسفل الوادى .
وبعد أن هبط من فوق الشجرة ، أخبرهم أنه شاهد أيضاً
ما يشبه الكوخ المهدم في موقع قريب . ولما وصلوا إليه وجدوه
إسطبلاً مهتماً خاوياً مهجوراً ! ففرحوا لهذا الكشف ، وقال
عارف إنه يمكنهم أن يضعوا حاجاتهم في هذا المكان ، فهو على
الأقل يحمل سقفاً سوف يحميهم من البرد والرياح والحسرة .
وقالت « عالية » : إن المكان قدر ورائحته لا تطاق ،
ولكن يمكننا أن نظفنه ، وأن نسط الكليم لننام عليه . فألقوا
بحقائبهم في ركن من الأركان ، وبجانبا وضعوا « زاهية »
في قفصها . وما كادوا يفعلون ذلك حتى صدر عنها صوت عالٍ
وهي تردد : « زاهية » مسكينة ! « زاهية » مسكينة ! .. علامة
على استنكارها واحتجاجها .

فقال « عامر » وهو يضحك : هل تظنون من الصواب
أن نخرج « زاهية » من سجنها ؟ فأجابه « سمارة » وهو ينظر إلى
« زاهية » نظرة عتاب : نعم ، ستظل على كفى ساكنة هادئة .
وبعد سكون قصير قال « عارف » وكان يجلس على

حقيقته : والآن .. ما هي خططنا ؟ هل سنكتشف المنطقة
في طلب النجدة ، أم سترقب الرجلين لنعرف ما الذي أتى
بهما هنا ، أم سنمكث هنا ونحتسي لا نفع شيئاً !! ..

فأجابه « عامر » : أعتقد أنه من الأفضل اكتشاف المنطقة
الآن ، ربما وجدنا من ينقذنا من ورطتنا ! فلا بد لنا من
الرجوع فوراً إلى منزلنا ، وبأسرع ما يمكن ! وقالت « عالية » :
إن هذا الوادي جميل ، ولكنه غامض جداً ، فلا حَسَّ فيه
لمخلوق ! وقال « سمارة » : نحن لم نر إلا جزءاً بسيطاً من
الوادي .. ولكن من يعلم ربما كانت هناك قرية وراء هذا
التل ! .. أليست هذه الجبال ضخمة رائعة ! فقال « عامر » :
نعم . فهي تحيط بالوادي كالحلقة ، ولكن أين المخرج ؟ إننا
تعلمنا أن سلاسل الجبال بها ممرات تقود إلى السهول والأودية !
إن الغموض يكتنف هذا الوادي ، وإني لعلى يقين من
أننا على أبواب مغامرة رهيبة !! ..

فقاطعه « عارف » : إنك تهذى ! إننا سوف نجد مزرعة
قرية .. وسنعثر على النجدة .. وسنجد طريقاً .. وسندهب
إلى أقرب مدينة بالسيارة .. ومن هناك إلى المطار . وأراهنك
على أننا سنكون بمنزلنا غداً !! ..

فأجابه « عامر » : أراهنك على أن شيئاً من هذا لن
يحدث !! ..

ظهر الاضطراب والخوف على وجه « عالية » عند سماعها
قول « عامر » فهي تعرف أخيها حق المعرفة ، فهو إن قال شيئاً
عنا ، وليس من عادته أن يهذي كما اتهمه « عارف » !
وقالت « عالية » : ولكن ماذا عن طعامنا ؟ فلم يتبق منه إلا
القليل بما حملناه معنا . سوف نموت جوعاً فليس في هذا المكان
ما نأكله !! ..

هذا موضوع لم يفكر فيه أحد .. فالمغامرة شيء .. أما
المعامرة مع الموت جوعاً فهي شيء آخر !! ..

خرج الأربعة من مكمنهم ، وأخذوا يتطلعون إلى الجبال
الصخرية العالية ، وهي تطبق على الوادي لتجعل منه سجنًا
كبيراً . إن أحداً منهم لم ير مثل هذه الجبال من قبل ! . أما
« عامر » فكان في وادٍ آخر ! لقد رجعت به الذاكرة إلى ما ذكره
خاله « ممدوح » عن سلسلة الجبال الصخرية الوحيدة في
القطر المصري ، والتي تحفّ الصحراء الشرقية وتطلّ على خليج
السويس والبحر الأحمر ، وتمتدّ موازية للساحل حتى تحترق

الحبشة ! ... وعن الأمطار والسيول التي تنحدر على قممها وسفوحها ، تنحت فيها الكهوف والممرات على مرّ الملايين من السنين ، وتجرف معها الصخور الملساء تسدّ الممرات الجبلية والطرق ! ! ...

ألم ينظر في بوصلته وهو في الطائرة فوجد أنهم يتجهون جنوب شرق ؟ وهذا يعنى أنهم اتجهوا من مطار القاهرة ناحية البحر الأحمر !!! ...

أيكونون الآن في مكان ما وسط هذه السلسلة من الجبال ؟ ولكن أين ؟ وما هي أقرب مدينة ساحلية إليهم ؟ أم رأس غارب ، أم الزعفرانة ، أم الغردقة .

كل هذا جائر ! ولكن لم لا يكونون في الحبشة ! هذا جائر أيضاً ! أمّا ما يعرفه عن يقين فهو أنهم الآن في منطقة جرداء ، جبلية ، قفرة ، موحشة ، منعزلة عن العمران ، وكأنها خلقت في عالم آخر ، تعوى فيها الرياح ، وتغرقها السيول الجارفة والأمطار في مثل هذا الوقت من كل عام ! هكذا ذكر خاله . ذكر لهم « عامر » ما يدور بخلده من احتمالات ، لكي يطمئنهم على جاهلهم ، وإن كان لا مجال للاطمئنان في مثل هذا المكان ! وكان غرضه من ذلك أن يشعرهم بأنهم في أرض

مصرية ، الأمر الذي سوف يدخل الطمأنينة على نفوسهم . ثم قال : ولكن ما يدهشني حقاً هو لماذا يأتي هذان الرجلان إلى مثل هذا المكان ؟ وكما ترون لا يوجد هنا أى عنصر من مقومات الحياة ! . وزاد « عارف » على ذلك بقوله : ومع ذلك فهما يعلمان بوجود هذا الممر الضيق المُستوى ! تعوداً الهبوط عليه بطائرتهما في يسر وسهولة !

وبينما هم كذلك يتبادلون الرأي في إيجاد مخرج لهم من هذه الأزمة المستعصية ، إذا « بعامر » يلمح سحلية صغيرة ، ذات ألوان برّاقة جميلة ، تقف بالقرب من قدمه . فأخذ يتفحصها بتأمل وإعجاب ، فهي من النوع النادر ، وهو يعلم ذلك جيداً . فسسى « عامر » ما هم فيه من مأزق ، ومدّ يده بسرعة خاطفة وقبض على السحلية من عنقها . فهو يعلم أنه لو قبض عليها من ذيلها لتركته ينفصل في يده ولاذت بالفرار ! كما هي عادة السحالي ! فطلب من « عالية » أن تتأمله قليلاً من فئات البسكويت ، وأخذ يطعمها بيده ، والسحلية تلتهم الفئات بنهم وشراهة ! ثم أطلق سراحها بعد أن شبع ، ولكنها ظلّت تلازم مكانها بجوار قدميه ترفض الرحيل ، وهي تنظر إليه بعينها المستديرتين . وكان كلّمًا تتقلّب من مكان إلى مكان ،

تبعته كظله ، وكأنها تطمع في المزيد من البسكويت !
أخذت «عالية» تبتعد عن السحلية ما أمكن ، ثم قالت
«لعامر» : أكانت تنقصنا هذه السحلية في ورطتنا هذه !
فأجابها : إنها سحلية من نوع نادر ، وأنا سعيد برؤيتها !

• • •

اتفقوا على استكشاف المنطقة ، على أن يجعلوا من الإسطنبول
محللاً لإقامتهم ، وطالما أن البوصلة مع «عامر» فلا خوف
عليهم من التيه والضياغ !

كانت الشمس تسطع على قمم الجبال وهي تغمر الوادي ،
عندما لمحو عمود الدخان المعهود يتصاعد في الهواء . فقال لهم
«عامر» مشيراً إليه : نحن هنا أحرار فما نفعل ، إلا أن نذهب
في هذا الاتجاه ! هلم بنا نسير في هذا الدرب ، لعله يقودنا إلى
العمران !! .. وسوف نترك أمتعتنا هنا فهي في أمان .

قالت «عالية» وقد تذكرت ما شاهدته في أحد أفلام
الهنود الحمر : وسوف نحفر علامات على جذوع الأشجار
والصخور ، حتى نؤمن طريق عودتنا إلى مركز القيادة !
كانوا يتسلقون الجبل في خفة ورشاقة ، إلى أن وصلوا إلى
مكان يكشف الوادي . وكانت الطائرة تبدو منه واضحة وهي

تبرق تحت أشعة الشمس ، كأنها قطعة من الفضة . فصوب
«عامر» نظاره نحو الطائرة وقال لهم : انبطحوا أرضاً ، فإني
أرى أحد الرجلين يتجه صوب الطائرة . فانبطح الجميع أرضاً ،
وتابع «عامر» حديثه : إنه الرئيس «مجاهد» يدخل الطائرة
الآن . هل سيطيّر تاركاً «معروف» وراءه ؟ .. لا .. إنه يغادر
الطائرة الآن . إنه يحمل شيئاً بين يديه لا أتبيئه . هو يتجه
الآن صوب عمود الدخان . لقد اختفى الآن وراء الأشجار .
تابع الأربعة سيرهم باحتراس وهم يحاولون التستر وراء
الأشجار والصخور ، إذ طالما أنهم يكشفون الوادي من مكانهم ،
فيحتمل كذلك أن يكشفهم «مجاهد» و«معروف» .

كان الأمل يراودهم في العثور على أثر يدلهم إلى طريق
النجاة . ولكن هذا الأمل خبا ، فلا أثر هناك سوى الصخور
وبعض الأعشاب والأشجار ! إلى أن قطع عليهم جبل السكوت
صوت «سمارة» وهو يقول : أعتقد أنه لا يوجد مخلوق حي
في هذه المنطقة ، غيرنا والرجلين الغربيين ! فإني لا أرى أثراً
لدخان ، أو لحيوان ، أو حتى لكلب أليف !

جلس الأربعة في ظل شجرة يحتمون بها من أشعة
الشمس ، بعد أن اشتكت «عالية» من أنها تشعر بالجوع

البحث عن الطعام



عالية

كانت «عالية» تستند
بظهرها إلى الشجرة ، وهي
تستريح من عناء السير
الطويل . وكان الهدوء المخيف
يسود أرجاء المكان .
تتهت «عالية» فجأة ،
وكأنها تستمع إلى صوت يأتي
من الفضاء ، وقالت : ألا
تسمعون شيئاً ؟ فأجابها

«عارف» وهو يضحك : لا ... لأن آذاننا ليست كأذانك !
وماذا هنا حتى نسمعه ! .. فقالت : إني أسمع صوت خرير
المياه ! فأرهب الجميع السمع ، إلى أن قال «سمارة» : إني
أسمع صوت المياه هذا صحيح ، ولكنه ليس صوت جدول
أو غدير ! إنه أشد من ذلك ! هيا بنا لعلنا نكشف عنه . ثم
ساروا في اتجاه الصوت الغريب ، إلى أن وصلوا إلى مرتفع
صخري يصعب تسلقه . ولكن الصوت العجيب أصبح الآن

وأخذوا يلتمسون ما تبقى لهم من طعام ، ويفرغون آخر قطرة ماء
بقيت لهم في « الترموس » . وكانت « زاهية » ، التي ظلت
طوال الوقت لا تفارق كنف « سمارة » ، تنتقن الزبيب بمنقارها
من قطعة « الكيك » التي يأكلها !

وبينما هم كذلك إذا « بعالية » ، وكانت تجاور « عامر » ،
تقف فجأة وهي تبعد عنه . فقد لمحت السحلية وهي تقبل
بجراحة نحو « عامر » ، وتنظر إليه بعينها المستديرتين ، وكأنها
تسأله شيئاً ! لم تحاول الهرب وهو يلتقطها بين يديه ، ليطعمها
بوجبتها الشهية المفضلة .. فتات البسكويت .. لقد تبعته
طول الطريق !



الأسمر !

• • •

كان طريقهم في الرجوع واضحاً سالكاً ، وهم يقتفون
أثر العلامات التي تركوها على الأشجار والصخور . وما إن
وصلوا إلى الإسطل ، حتى ضحكت « عالية » وقالت : كم هو
جميل أن يعود الإنسان إلى بيته !

دخلوا الإسطل فوجدوا أمتعتهم في وضعها الأول كما
كانت ، دلالة على أن مخبأهم لم يكشف بعد ! .

قالت « عالية » ، وكانت تشرف على تدبير شئون الطعام .
إن ما بقى لهم من زاد لا يعدو بقايا وفتات لا تكفيهم هذا المساء
أما العطش فلا خوف عليهم منه ، فالجدول الصغير يجاورهم .
ينهلون منه كفايتهم . فاقترح « عامر » أن يهبط إلى الوادي
وحيداً ، ليستطلع ماذا يفعله الرجلان . فوافقوه على رأيه .
وأضافت « عالية » . تقول : وإذا سنحت لك الفرصة يمكنك
أن تبحث في الطائفة عن بعض الطعام ، لربما وجدت منه
شيئاً ! . وكانت « عالية » تود أن تصاحب أخيها في مهمته
الخطرة ، ولكنها كانت على يقين من أنه سيرفض تعريضها
للخطر .

واضحاً ، مما دفع فيهم الحماس لارتقائه . وقال « عامر » :
أعتقد أننا إذا التفتنا حول هذه الصخرة العالية ، سترى مصدر
هذا الصوت الذي يصمّ هديره الآذان !

وصلوا إلى المكان المنشود . . حيث وقفوا مشدوهين مما
شاهدوه ! إنهم لم يروا له مثيلاً في حياتهم من قبل . . إلا في
الصور ، وفي الأفلام السينمائية ! لقد كان شلالاً . . صحيح
هو ليس كشلالات « نياجارا » في أمريكا ، ولكنه شلال صغير
متواضع . . تتدفق مياهه في قوة من أعلى الصخور ، حتى
تستقر في بؤرة عميقة مملوءة بالصخور الملساء المصقولة بفعل
المياه . .

وكم كانت سعادة « عالية » بالغة ، وهي تخرج لسانها
لتلغق به رذاذ المياه الصافية النقية الباردة وهي تغمر وجهها .
لقد كانت تكفيها قطرة واحدة منها لتروى ظمأها . وأخذت
تصيح بأعلى صوتها وهي تقول : إنني أشرب الرذاذ !! كم هو
منعش لذيد !

أما « زاهية » فقد طارت فجأة ، وأخذت تحوم حول
المياه المتدفقة ، وهي تتلغى رذاذها ، ثم تعود لتحط على كتف
« سمارة » وتنفض ريشها الأخضر الزاهي لتغرق بالرذاذ وجهه

أسرع «عامر» في الرحيل ، فقد كانت الشمس على
وشك المغيب ، واقترب حلول الظلام .

رفضت «عالية» المبيت داخل الإسطبل ، بحجة أن
رائحته لا تطاق ! فابتدأ «عارف» و«سمارة» في تجهيز مكان
للمبيت خارجه . فاختارا مكاناً مناسباً تحت شجرة وارقة ،
تنبت تحتها بعد الأعشاب والحشائش ، وبسطوا عليه الكليم ،
وأخرجوا البطاطين . أما الحقايب فكانت ستستعمل كوسادات !
ولما حلّ الظلام ، ابتدأت «عالية» في القلق على «عامر» .

لقد تأخر فماذا حدث له يا ترى ؟ وكانت تروح وتجيء وهي
حائرة قلقة ، تنظر في الطريق المؤدى إلى الطائرة ، وفجأة رأت
شبحه مقبلاً وهو يسرع في خطاه . فنادت على «عارف»
و«سمارة» ، حيث استقبله الثلاثة بما يليق به من حفاوة
وترحاب ! وحتى «زاهية» كانت تصيح وتغنى ، و«سمارة»
يحاول إخراسها ، لئلا يصل صوتها وضميرها مع الريح إلى
أسفل الوادى ! وقالت «عالية» : ابتدأنا نقلق عليك ، هل
شاهدت «مجاهد» و«معروف» ؟ وماذا كانا يفعلان ؟

فنظر «عامر» إلى مكان المبيت وهو يتفحصه وقال : يا لها
من غرفة نوم وثيرة ومريحة ! .. فكررت «عالية» سؤالها بالحاح :

هل شاهدتهما يا «عامر» ؟ وماذا حدث ؟ وهل عثرت على
طعام في الطائرة ؟ ..

فأجابها «عامر» : لم أفعل الكثير . فلم أجرؤ على التقدم
إلى الطائرة لأنها تقف في الخلاء ، وربما لمخني «مجاهد»
أو «معروف» وأنا في طريق إليهما . ففكرت في استطلاع
مخبأهما أولاً ، فاتجهت إليهما ، يقودني عمود الدخان ، وأنا
أحتمي بالصخور والأشجار . فقاطعه «عارف» في لطفة :
وهل رأيتهما ؟ .. فاستمر «عامر» في روايته : سمعت صوتهما
أولاً . . . وكانا يتحدثان بصوت عالٍ في حرية . فتسلقت شجرة
ورأيتهما عن بعد وهما يفترشان الأرض أمام النار ! وكانا
يتناقشان ويتدارسان ، والرئيس «مجاهد» يمسك في يده
بورقة . . . ولما صوّبت منظاري إليها اتضح أنها أشبه بالخريطة ! ! .
وهنا قاطعه «عارف» لثاني مرة وهو يبدى الدهشة :

خريطة ! وما فائدة الخريطة ! إنهما يعرفان هذه البقعة عن
ظهر قلب . . . وإلا لما تمكنا من الهبوط فيها بطائرتهما ! فأجابه
«عامر» : لا بد أن هناك سبباً وجيهاً أتى بهما هنا ! أمّا ما هو
هذا السبب فهو في علم الغيب ! لا بد أنهما يبحثان عن شيء . . .
أو عن شخص . . . والخريطة تدلهما على ذلك ! فقد سمعت

مجاهداً وهو يقول مشيراً بأصبعه إلى هذه الورقة : هذا الطريق
بالذات . . . ومن هناك إلى هنا . وكان يبدو عليهما أنهما يخططان
لبعثة استكشافية ! فقالت « عالية » بحماس شديد : يمكننا
أن نقتني أثرهما . . . ونكشف عن سرهما ! . . .

أخذ « عامر » يفكر فيما قالته « عالية » ، ولكن رجاحة
عقله ، وبعد نظره ، وحسن تقديره للأمور ، جعلته يرفض
اقتراحها ، وقال : لا داعي لتسلق هذه الجبال وراءهما ، وهي
مغامرة لا طائل تحتها . . . والأفضل أن ندعهما يبدآن رحلتها ،
على حين نذهب نحن إلى الكوخ ، وإلى الطائرة أيضاً ، فقد
نعثر هناك على ما يدلنا على شخصيتيهما ، وعمّا يبحثان عنه !! . . .
فقالت « عالية » وهي تتأهب : حسناً . . . هذا هو عين العقل . . .
فلنفعل ذلك صباحاً . . . أما الآن فقد حان وقت النوم .

نام الأربعة في معسكرهم البدائي ، وهم يحلمون بما سوف
يأتى به الغد من مغامرة . . . قد تهون بجانبها ما خاضوه في الماضي
من معامرات !

استغرق الجميع في نوم عميق ما عدا « عامر » . . . فقد ظلَّ
بعدَ النجوم . . . ويستمع إلى نعيق البوم !



وكانا يقترشان الأرض أمام النار يتناقشان ويتدارسان ، والرئيس « مجاهد » يمسك
في يده ورقة . . .

وكان يفكر في مخرج للمأزق الذي أوقعهم القدر فيه .
ولكنه لم يتوصل إلى حل معقول ! فلم يكن من السهل التخلص
من مثل هذا المأزق الخطير الريب !

أخذت « زاهية » تقلد البومة بصوت مرتفع . . ما لها هي
ومال المأزق ! ولكن « عامر » نهرها وأخرسها لثلاث توقيظ النيام .
فسكتت على مضض . . ودست رأسها تحت جناحها واستغرقت
في النوم . . لا لأنها في حاجة إلى النوم . . بل لأنها كانت
تقلد النائمين فقط !

° ° °

استيقظ الجميع وأخذوا يتشاورون في مشكلة الإفطار !
فقد نفذ الطعام منهم . ولكن « سمارة » ، وكان بعيد النظر ،
حلّ لهم هذا الإشكال ! فقد احتجز من نصيبه قالباً من
الشيكولاتة لمثل هذا الظرف الطارئ . . اقتسموه فيما بينهم
بالعدل والقسطاس . أما بيغاهو اللطيفة فكان لا خوف عليها
من الجوع فقد كان في حوزته من البذور ، ما يكفيها
لشهور . . .

وعندما كانوا يتداولون فيما يجب عمله للحصول على الطعام .
إذا بهم يستمعون إلى صوت الرجلين وهما يقتربان . وكانت

الريح تحمل لهم صدى صوتهما الأجرس . فبادروا بإزالة
المعسكر في سرعة خارقة ، وتولى كل منهم حمل أمتعته إلى
الإسطبل . كما حمل « سمارة » بيغاهو ، وأشار لها حائماً لها على
الصمت ، وبألاً تفتح منقارها ، لثلاث تفضح مكانهم بصراخها
ثم اختبئوا وهم ينظرون إلى الخارج من خلال شق في الجدار .
وصل الرجلان . . ونظر « مجاهد » إلى حيث كانوا ينصبون
معسكر النوم ، وقال « لمعروف » في دهشة : هنا شيء غريب
جداً ، فالحشائش تميل وتلتصق بالأرض في هذه البقعة
بالذات ! من صنع هذا ؟ . . فقال « معروف » : ربما كانت
آثار حيوان ؟ فأجابه « مجاهد » : حتى لو كان هذا الحيوان فيلاً
لما ترك مثل هذا الأثر الضخم ! ولكننا مضطرون لترك هذا
المكان فوراً ونتحرى هذا الأمر عند عودتنا . . فليس لدينا
لآن وقت نصيحه !

وبعد انتظار طويل تأكد الأربعة من رحيل « مجاهد »
و « معروف » فتنفسوا الصعداء وغادروا مخبأهم إلى الخارج .
ثم تسلق « عامر » الشجرة الضخمة العالية ، وأخذ يتطلع
بمنظاره في الاتجاه الذي سلكاه . وكان « عامر » يتفحصهما
من فوق الشجرة وهو يقول : أراهما الآن بعيداً يقفان في مكان

مكشوف .. إنهما يدرسان خريطة في يدهما ويتجادلان ..
يبدو عليهما أنهما ليسا متأكدين من وجهتهما .. هاهما الآن
يستأنفان السير ! .. إنهما يدوران حول صخرة سوداء كبيرة ..
الآن فقط فقدت أثرهما تماماً ! لقد اختفيا ! !

نزل « عامر » من فوق الشجرة يرشاقة الغزال ، وقال لهم :
والآن هلم بنا لتلقى نظرةً شائقة على الطائرة .. وانتبه هذه
الفرصة فغياهما سيطول !

هبطوا إلى الوادي في سرعة البرق ، حيث وجدوا الطائرة
تقبع في مكانها على المر الصيق الصخري القصير .
دخلوها ولكنهم فوجئوا باختفاء الصندوق الخشبي الكبير الذي
كان يسد بطن الطائرة . فتعجبوا لاختفائه ، ولكنهم أدركوا أن
الصندوق كان فارغاً ، وإلا لما تمكن « مجاهد » و « معروف »
من حمله وحدهما ! فبحثوا في أرجاء الطائرة عبثاً عن طعام .
فقالت « عالية » باضطراب ظاهر : والآن ما العمل ؟ هل
سنموت جوعاً ! ولكن « عامر » طمأنها قائلاً : ما زال الكوخ
أمامنا .. فقد شاهدتهما بجواره أمس يطهيان طعاماً .

توجهوا إلى حيث رأهما « عامر » بجوار النار ، وكانت آثارها
ما زالت باقية ! والكوخ مقام بجانبها على مسافة قصيرة . وكان

الكوخ مبنياً بالحجارة ، ويحتوى على حجرة واحدة . ولا بد
أنه كان خرباً ، إذ ما زالت تظهر فيه آثار ترميم حديث ، وله
باب خشبي متين ، وناقذة زجاجية واحدة ، مرتفعة صغيرة
ضيقة مستديرة ، لا تتسع لمرور إنسان .. فنظر « عارف » إلى
الباب وقال : لا بد أن يكون مقللاً .. وأنهما أخذوا مفتاحه
معهما . ولكن ما يدعشني هو بمن يخاف ، ولا مخلوق معهما
في هذا الوادي المهجور ! أتظنون أنهما يعلمان بوجودنا ؟ وعلى
كل حال ما دمنا هنا فلنلق نظرة إلى الداخل من خلال هذه
الطاقة الزجاجية . فحملة « عامر » على كتفيه حتى وصل إلى
مستوى الكوة ، ولكن الظلام كان يشيع في أركان الحجرة ،
إذ كانت الطاقة الضيقة هي مصدر الضوء الوحيد ، فلم ير
شيئاً في بادي الأمر . ولكنه بعد أن تعود على الظلام قال :
إني أرى مرتبتين ، وكلياً ، ومائدة صغيرة وبعض الكراسي ،
وموقد .

ولكنه ما لبث أن فرغاه من الدهشة وصاح : .. انظروا
إلى هذا ! يا للمفاجأة ! .. فنطق الجميع بصوت واحد :
ماذا ! ماذا ترى ! فقال « عارف » وقد افترّ ثغره عن ابتسامة
عريضة : إني أرى حلماً .. أرى أكواماً من الطعام والمعلبات



كانت الأرفف المحملة
بالطعام والمعلبات والفواكه ،
تبدو وكأنها تراقص أمام
أعينهم . فهجموا عليها وهم
غير مصدقين ، ليتأكدوا أنهم
في بقعة وليسوا في حلم جميل .
ولكن « عامر » صدّهم عنها
قائلاً : مهلاً ! مهلاً ! ستأخذ
حاجتنا من الصفوف الخلفية

وتترك الأمامية للتمويه ، حتى لا يظهر أن أحداً قد سطا على
المخزن . فقال « سمارة » : سنحصل على ما فيه كفايتنا ، ويجب
الآن أن نواجه الحقيقة . . . وهي أننا سوف نبقى هنا لفترة غير
معروفة . . . وأتانا قد قطعنا عن العالم ، وقد لا تصلنا النجدة -
إذا وصلت - إلا بعد زمن طويل !

إنهم كانوا يدركون هذه الحقيقة في قرارة نفوسهم ، إلا أن
إعلانها كان سبباً في اضطرابهم . وكان أكثرهم اضطراباً هي

المكدسة على الأرفف . . . يا له من منظر خلّاب ، يسيل له
اللُعاب ! . قال هذا وقفز من على كفي « عامر » وهو يصيح :
إنه مجمّع استهلاكي . . . ولكنه للأسف مغلق . آه لو لم يأخذنا
مفتاحه معهما . . . لكانت « عالية » تهيئ لنا الآن وليمة فاخرة !
ولكن كانت الكوة الزجاجية ، وإن كان يسهل كسرها ،
لا تتسع حتى لمرور « عالية » بقدها الدقيق التحيف . فاقترح
« سمارة » في ثورة من الحماسة أن يحطّموا الباب ، ولكن
كان هذا مستحيلاً . إذ كان هذا الفعل سينم عن وجودهم ،
ولكنه من حنقه وغيظه ركل الباب ركلة شديدة بقدمه ، وكأنه
يعاقب الباب الذي يقف أمامهم عقبة في سبيل الحصول على
الطعام الشهي . . . فانفتح الباب ، لأنه لم يكن مغلقاً بالمفتاح .
وسط دهشة الجميع وفرحهم وتهليلهم .

وهنا صاحت فيهم « عالية » ، وهي تشير بيدها إلى الداخل :

والآن هيّا بنا إلى الوليمة اللذيذة !

« عالية » ، التي قالت بصوت لا يكاد يسمع : أنت على حق يا « سمارة » . يجب أن نأخذ معنا أكثر ما يمكن أخذه ، وأن نحمله إلى مخبأ أمين .

وجدوا عدداً كبيراً من الزكائب الفارغة المهملّة في أحد الأركان . فملئوا منها « زكبيتين » بما لذ وطاب من علب البسكويت والشيكولاتة واللبن والمرددين واللحوم والخضروات والفواكه ، وخاصة الأناناس الذي كانت تحبه « عالية » و « زاهية » ! ثم غادروا الكوخ على عجل بعد أن أحكموا إغلاقه ، وبعد أن بحثوا عن أوراق أو مستندات قد تفيدهم في الكشف عن هوية الرجلين ، أو عن مهمتهم ، ولكن بدون جدوى ! وكان « عامر » و « عالية » يحملان « زكبية » فيما بينهما ، وهما يكادان يتوهان تحت حملها ، و « عارف » و « سمارة » الزكبية الأخرى .

ولكن أين الصندوق الخشبي الكبير ، إنه ليس في الكوخ ! قال « عامر » إنه يعجب لاختفائه ، وإنه يحسن بهم أن يبحثوا عنه ، فلا بد أن يكون في مكان قريب . فوجدوه بعد بحث مضمّن وسط خمسة صناديق كبيرة ماثلة ، وسط الحشائش العالية وهي مغطاة بغطاء كبير من المشمع !

فصاح « عامر » : عجيب ! الصناديق كلّها فارغة ! من ذا الذي يأتي بصناديق فارغة إلى مثل هذا الوادي المهجور ! ؟
إلا إذا كان مجنوناً ! فقالت « عالية » وهي ترتعد : أنتظن يا « عامر » أنهم مجانين ! .. وماذا سنفعل إذا كانوا حقاً مجانين ! فأجابها « عارف » وهو يضحك : نتعد عن طريقهم !
وما كادوا يصلون إلى الإسطليل بكتزم الثمين ، حتى تسلّق « عامر » الشجرة - التي أطلقوا عليها « نقطة المراقبة » - ومسح الوادي بمنظاره ، فلم يجد أثراً للرجلين ! وكانوا يشعرون بالجوع والتعب ، ففتحوا من العلب ما اشتتهه نفوسهم ، وكانت وليمة أنستهم ما هم فيه من همّ وتعب وجوع ! ..
أما « زاهية » فقد اقتصرت وليمتها على الأناناس ، وهو طعامها المفضل ! وبعد أن انفضت الوليمة ، قالت « عالية » :
وماذا سنصنع بالعلب الفارغة ؟ وأين سنخفيها ؟ فنظر « سمارة » بعيداً وقال : إني أرى هناك جحراً ، أغلب الظن أنه جحر أرانب ، سنلقى فيه بالفوارغ . ولكن الأهم من ذلك أين سنخفي متاعنا ؟ إذ لا بد أن الرجلين سيعاودان البحث عنا غداً .
بعد أن تركنا آثارنا على الحشائش ! فصاح عليه « عامر » وكان لا يزال يرباط في نقطة المراقبة : هنا ! فوق الشجرة !

ولما وافقوه على فكرته الصائبة على الفور ، فكّ الحبل
الذى يلتفّ حول وسطه ، وأسقطه لهم . فأخذوا يحزمون به
الحقائب واحدة وراء الأخرى ، وهو يرفعها إلى أعلى ، حيث
يخفيها وسط الفروع ! واحتفظوا فقط بما يلزمهم للمبيت .
أما كثر الطعام الثمين فأخفوه وسط مكان تنمو فيه الأعشاب
الطويلة ، والشجيرات الكثيفة .

أما عن أنفسهم فليس أسهل عليهم من تسلق الشجرة عند
الضرورة ، والاحتفاء بأوراقها وفروعها ! وبذلك اطمانت
قلوبهم ، فلا أثر يخطر الآن لأمتعة أو طعام أو إنسان ! وليبحث
الرجلان عنهما كيفما شاءا !

وما إن أصبح عليهم الصباح ، حتى أخذوا يفكرون جدياً
في تغيير مكان إقامتهم . ولكن أين ؟ وهنا طرأت على رأس
« عالية » فكرة نيرة ، فقالت فجأة : الشلال ! .. بجوار
الشلال ! .. فالمكان جميل . . والماء موجود . . وربما اكتشفنا
هناك مخبأً خفياً ! فقرروا أن يتركوا وراءهم الحقائب على
الشجرة كما هي ، فهي ثقيلة ولا داعي لحملها في المشوار
الشاق الطويل ، والاقتصار على ما خفّ حمله من ضروريات ،
وبعض الطعام ، على أن يرجع أحدهم لإحضار ما يحتاجونه

من طعام كلما دعت إليه الحاجة !

وما كاد يلوح ضوء الفجر ، حتى أيقظهم « عامر »
وبدعوا في تناول الإفطار الذى جهزته لهم « عالية » . وما كادوا
ينتهون منه ، وإلقاء مخلفاته في جحر الأراب ، حتى لحوا
عمود الدخان المعهود يتصاعد في الهواء . فأخبرهم « عامر » أنه
لا بدّ لهم من الإسراع في الرحيل قبل وصول « مجاهد »
و« معروف » . فحملوا معهم متاعهم الضرورى ، وكان أقله
وأثمنه زكية الطعام . . و« زاهية » وهى تربص فوق كتف
« سمارة » ، تتركه أحياناً لتطير ، ثم تعود لتحطّ على كتفه ،
كأنما تستكشف لهم الطريق . وبدعوا مسيرتهم في طريقهم
إلى الشلال ، مستعينين بما سبق لهم أن تركوه من علامات
وإشارات حفروها على الصخور والأشجار . إلى أن وصلوا إلى
مكان أتاهم فيه صوت هدير المياه ، فأطرت « عالية » السمع
بأذنها المرهفة ، وقالت : ياله من صوت عذب جميل . .
والآن سأشرب الرذاذ بعد قليل !

وصلوا إلى المكان وكانت مياه الشلال الصغير تتدقّ وهى
تنثر رذاذها على وجوههم ، و« عالية » تعلق قطرات الماء في
شغف ونهم ! جالت نظراتهم هنا وهناك باحثة عن مخبأً أمين .

ولكن لم يكن هناك ما يوحي بوجود مثل هذا المكان . فقال لهم « عامر » : استريحوا هنا قليلاً ، وسأبحث أنا عن مكان يحفينا عن عيون « مجاهد » و « معروف » .

كان المكان محاطاً بالصخور العالية اللامعة الملساء ، تصقلها مياه السيول المتدفقة ، التي تتجمع فوق القمم لتجد طريقها إلى أسفل الوادي ، وهي تمر في تدفقها وسريانها بين الصخور ، تنحت فيها الغيران والكهوف . وكان « عامر » يتجول في المكان وهو مأخوذ بجماله ، إلى أن عثر على شجرة ضخمة ، تنسدل فروعها وأوراقها كالشعر المسترسل المنهف ، حتى تصل إلى الأرض ، كشجرة الصفصاف . وكانت الشجرة تحجب وراءها حائطاً صخرياً عالياً . فأخذ « عامر » يزيل الأوراق بيديه من أمامه ويفرقها ، حتى يكشف ما وراءها . وإذا به يقف فجأة أمام فتحة في الحائط الصخري ، ارتفاعها يبلغ ارتفاع قامته ! ولما أطل برأسه إلى الداخل وجد ما يشبه الكهف الصغير ، أرضه مغطاة بالطحالب الخضراء السندسية الناعمة ، والتي تنبت من أثر رطوبة الشلال ! فأخذ يصيح عليهم ، وهم يتطلعون في كل مكان فلا يرونه ! فقد كانت شعور الشجرة الجميلة الباسقة تحجبه عن أنظارهم ، إلى أن

أزاح الفروع بيديه ، وهلّ عليهم بوجهه ، ونادى عليهم . عدواً نحوه ، وأطلوا برؤوسهم داخل الفتحة الواسعة ، فهتفت « عالية » وهي تتعجب : ياله من منزل رائع بعيد عن الأنظار ! وياله من ستارة خضراء جميلة ! نرخبها عند الضرورة لتحجبنا عن عيون الدخلاء ، ونفتحها لنستنشق الهواء ! وقال « عامر » : والآن فلنحضر منقولاتنا . . . وأكملت له « عالية » جملة : وتمويتنا لنخزنه على هذا الرف الصخري . بسط الأربعة الكلم على أرض الكهف الخضراء ، وجلسوا يتشاورون فيما بينهم ، بعد أن فتحوا الستارة الخضراء قليلاً ليدخل إليهم الهواء العليل ، المبلل برذاذ الشلال . . . وقالت « عالية » : ياله من مكان جميل . . لا مانع عندي أن أعيش هنا بعض الوقت .

فأجابها « عارف » : بل ستعيشين هنا طويلاً ! . . . وقال « سمارة » : يكفيننا أن « مجاهد » وزميله « معروف » لن يعثرا علينا هنا ! وقال « عامر » : الظاهر أننا مقبلون على مغامرة رهيبة . . وكل ما أرجوه أن والدينا وخالنا « ممدوح » لا يقلقون علينا كثيراً . أليس هناك من طريقة نوصل بها أخبارنا إليهم ؟؟ . فأجابها « عارف » : هذا مستحيل . . فلا اتصال لنا مع العالم

الخارجي إلا عن طريق «مجاهد» و«معروف» .
 أما «زاهية» السعيدة .. فكانت لها حرية الانتقال .
 تغنى وتصفر وتقلد ما تسمعه من أصوات وكلمات ، وهي تطير
 حول مياه الشلال ، وتقف على شجرة الصفصاف ، وتدخل
 عليهم الكهف في طلب الطعام .. لا تعمل هماً .
 استيقظ الأربعة في الصباح المبكر وهم أكثر ما يكونون
 نشاطاً . قال «عامر» أنه سيصطحب «سمارة» معه الى
 الإسطبل ، حيث يراقبان «مجاهد» و«معروف» وأبهما
 سوف ينتهزان الفرصة لإحضار باقي الطعام ، إذ لا داعي
 لتركه هناك . وبته على «عارف» أن يلازم «عالية» ولا يتحركها
 وحيدة في لحظة من اللحظات ، وأن يسدل فروع الشجرة
 ليقلل بها باب الكهف ، حتى لا تتبع «زاهية» «سمارة» عند
 رحيله ، وحتى لا يفاجئهما «مجاهد» و«معروف» .
 وبعد أن رحل «عامر» و«سمارة» ، وجد «عارف» الآ
 عمل له ، فاضطجع على ظهره ليسترخ ، وليدخر قواه للمستقبل
 المجهول ! ولكنه غفا .. وعندما وجدت «عالية» نفسها
 وحيدة ، رقدت بجواره وغفت بدورها .
 استيقظت «عالية» من غفوتها ففوجئت بالسكون يحتم

على الكهف . وكانت تنظر على الأقل تحية حارة من «زاهية» !
 وهي تصيح في وجهها : صباح الخير ! صباح الخير ! فجالت
 «عالية» بصرها في رجا الكهف الصغير ، ولكن لا حس
 ولا خبر عن «زاهية» ! فنادت عليها .. ولكن لا حياة لمن
 تنادى ! كان من المستحيل أن تغادر «زاهية» الكهف الذي
 تسدّ بابه فروع الشجرة المتهدلة . فأين ذهبت هذه الشيطانة
 الداهية ؟ أتكون غاضبة على فراق صاحبها ! وأنها تختفي في
 ركن من سقف الكهف احتجاجاً على هذه المعاملة الجافة ؟!
 تناولت «عالية» البطارية وبحثت على ضوءها في أركان الكهف ،
 ولكن «زاهية» كانت قد اختفت تماماً ! وأخيراً لفت نظرها
 وجود طاقة مظلمة في سقف الكهف ، وكانت تلامس رأسها .
 لا بدّ أن البيغاء اختفت فيها ! فنادت عليها : يا «زاهية» ..
 يا «زاهية» .. أين أنت ؟ إنها لا تردّ ! يالها من ماكرة .
 تسلّقت «عالية» الرف الصخري ، وأطلت برأسها داخل
 الطاقة ، فلم تر شيئاً سوى الظلام المخيف ! فأضاءت البطارية
 فكشفت ضوءها عن فضاء متسع يسوده السكون والرهبه والظلام !
 فرحفت داخل الطاقة حتى وقفت وسط هذا الفضاء على أرض
 صخرية منبسطة .

أما « عارف » فقد صبحا بعد قليل ، ليجد نفسه وحيداً في الكهف . بحث عن أخته ولكنها اختفت ! نادى على « زاهية » ولكنها لم تجب . . . أين ذهبتا ؟ فالكهف صغير . . . ولا مجال فيه للاختباء !

وبينا هو في حيرته إذا به يلمح ضوءاً كهربائياً يتسرب من سقف الكهف ، وصوت « عالية » بهمس إليه يناديه : أسرع يا « عارف » . . . ادخل من هذه الطاقة ، لقد اكتشفت اكتشافاً عجبياً !! تسلق « عارف » الرّف الصخري ومرق بجسمه من الفتحة ، فوجد نفسه مع « عالية » وسط الفضاء المظلم الرهيب !. تحدثت إليه « عالية » وهي تهمس : هذا كهف واسع ، وأظن أن « زاهية » اكتشفت الفتحة فدخلت منها ، ولا بد أنها ترقد الآن في ركن من الأركان . . . فلننادى عليها . . .

قالت هذا وصرخت بأعلى صوتها : « زاهية » !! فجاءها صوت مخيف يتردد في أرجاء الكهف يملأ فراغه وهو ينادى : « زاهية » !! « زاهية » !! « زاهية » !! صمّتا في رعب ، إلى أن سمعا صراخاً يدوي في الفضاء وهو يقول : « زاهية » مسكينة !.. مسكينة !.. مسكينة !..

فهمس « عارف » في أذن « عالية » قائلاً : لا تخافي يا « عالية » . . . إنه عدى الصوت يتكلم ! هكذا يحدث دائماً في الكهوف ! . إنها « زاهية » تردّ علينا بعد أن سمعنا . وعندما اطمانت « زاهية » أنها ليست وحيدة في الكهف ، أخذت تغني وتصفّر ، وكأنها في غابة برازيلية موطن أجدادها . ولكنها عندما شرعت في تقليد صوت القطار بأعلى صوتها ، كاد صدها يمزق الآذان ، وكان الهواء يتخلخل حتى خيّل إليهما أن سقف الكهف سينهار ! وفجأة طارت « زاهية » وتربعت على كف « عالية » ، ثم أخفت رأسها تحت جناحها وهي ترتعش من الخوف !

قالت « عالية » : والآن ماذا سنصنع ؟ فأجابها بلا تردد : سنواصل السير لئرى أين يقودنا هذا الكهف ! ويالها من مفاجأة تنتظر « سمارة » و « عامر » عندما يشاهدان هذا الكهف . سارا في الكهف وكان يتسع أمامهما تارة ، ويضيق تارة أخرى ، وهما يتكلمان همساً تفادياً لترديد الصدى المخيف . أما « زاهية » فقد أطلبت مفارها ولزمت الصمت التام ! وكانا كلّما تقدما في السير جاءهما صوت هدير مياه يسمعانه . من بعيد . إلى أن لمحا ضوءاً يتسرّب من فتحة واسعة في نهاية

الكهف فتوجّها صوبها وخرجا منها . وكم كانت دهشتها
عندما وجدا نفسيهما يقفان وراء الشلال المائي الصغير ، على
رصيف صخري يشبه الشرفة !.. وكان سيل المياه المتدفق
أمامهما يسترهما عن أنظار المتطلّعين من الخارج !

يا لها من بقعة خفية ! يصعب حتى على الجن اكتشافها !!
عادة أدراجهما إلى مخبأهما الصغر ، حيث الأمان
والطمأنينة ، وهما يتنفسان الصعداء على اجتيازهما هذه المامرة
الصغيرة بسلام . وكان الفضل في اكتشافها يعود بلا شك إلى
الداهية « زاهية » !

جلسا يتحدثان عن الكهف المتكلم ، فقالت « عالية » :
إنه كهف عجيب ، لا يُستدلّ على مكانه إلا بالحظ والصدقة !
أتظن أنه يحوى سرّاً ؟ فأجابها : أتقصدين كثيراً ؟ فقالت :
نعم .. الكثر الذي يبحث عنه « مجاهد » و « معروف » !
فأجابها : وما أدراك أنهما يبحثان عن كثر ! ربما كانا يبحثان
عن منجم ذهب ! أو عن شخص ! أو ربما كانا من الأشقياء
الهاربين من العدالة ! كل هذا جائز ! .

مدّ « عارف » يده وأزاح الستارة الخضراء ، ولكنه فوجيء
برؤية « عامر » و « سمارة » من بعيد وهما يتسلّقان المنحدر

في طريقهما إلى الكهف الصغير ، وكانا يحملان زكية الطعام .
ولكنه توقّف فجأة وجذب « عالية » من ذراعها وقال :
إنهما في خطر داهم ! انظري ! هناك رجلان يتبعانها ، هما
« مجاهد » و « معروف » بلا شك .. و « عامر » و « سمارة »
لا يشعران بهما !

وما كاد « عامر » و « سمارة » يصلان إلى باب الكهف ،
حتى جذبهما « عارف » إلى الداخل ، وأرخص فروع الشجرة .
كان « مجاهد » و « معروف » لا يزالان يسيران في أسفل
المنحدر ، فلم يشهدا « سمارة » و « عامر » عندما دخلا الكهف .
ولما وصلا أمام الشلال أخذتا ينظران يمينا وشمالاً بحثاً عن
طريديتهما ، ولكنهما كانا كفض ملح ذاب !

وبعد قليل سمع الأربعة « مجاهد » وهو يصيح : غريب
هذا الأمر ! أهما من الجن أم الإنس أم الأشباح ! أم أننا
أصبنا بلوثة في عقولنا ! ...



زيدان

كان «مجاهد» و«معروف» بجولان ويصولان بين الصخور والأشجار ، وهما يحاولان عبثاً اكتشاف مخبأهما . وكانا كلما اقتربا من باب الكهف ، حبس المغامرون أنفاسهم ، وخاصة عندما اهتزت أفرع الستارة الخضراء ، وكانا قد احتكأ

بها وهما على بعد خطوة واحدة منهم ! وعلى حين فجأة سمع «مجاهد» و«معروف» صوت قهقهة عالية ترنّ في الفضاء . فقال «مجاهد» : أسمع هذه القهقهة العالية يا «معروف» ! أضحكان على خيبتنا الثقيلة . . أم إنها ضحكة أرواح شريرة؟! . .

كانت هذه القهقهة صادرة عن البيغاء «زاهية» بعد أن غافلت «سمارة» ودخلت الكهف المتكلم ، الذي وجدت فيه

الآن لعبة مسلية لطيفة ، واختفت وراء مياه الشلال ، ووقفت تقلد صوت القهقهة العالية !

أصابهما الفرع والرعب ، وهرا يغادران المكان لا يلبويان على شيء !

اندهش «سمارة» كيف اختفت «زاهية» من الكهف الصغير ، مع أن بابه الأخضر مسدل ! فقالت له «عالية» : «زاهية» خرجت عن طريق الكهف المتكلم ! فتعجب «عامر» وقال : كهف متكلم !! ما هذا الذي تقولين ؟. فروت له «عالية» قصة اكتشافها مع «عارف» للكهف الواسع في أثناء غيابها ، وصدى الأصوات التي تردّد في أجوائه . وكيف أنهم يمكنهم الآن الاحتماء به في حالة اكتشاف مخبأهم الصغير المتواضع ! أما الآن فهم يشعرون بالجوع ، وعلى «عالية» أن تحضر لهم الوليمة الفاخرة ! ذهبت «عالية» نحو الستارة الخضراء لتريحها قليلاً وهي تقول : لا بد لنا من الهواء النقي ، فالمكان ضيق يضيق بأربعة أشخاص . فاستدركها «سمارة» قائلاً : بل خمسة . . لا تنسى «زاهية» ! وتبعه عامر» فقال : بل ستة !! لا تنسى السحلية ! ها هي الآن يجوارى . . لقد تسلّت إلى الكهف . . على بالسكويت يا «عالية» !

أخذوا يأكلون ويمرحون ، وكأنهم في بيئهم بالقاهرة .
ونسوا - أو تناسوا - ما هم فيه من مأزق خطير لا يجدون له
مخرجاً ! فقالت « عالية » : كان يجب أن نستمتع بكل ذلك ،
إذا تأكدنا فقط أن والدنا لا يقلقنا علينا .

وقال « عارف » : إن المكان رائع . ولكن من الغريب
أنه ليست لدينا عنه أية فكرة . وأين مكانه من الكرة
الأرضية !

اتهبوا من طعامهم قبل حلول الظلام ، واستعدوا للمبيت .
وكان الهدوء المخيف يخيم على المكان ، لا يعكر صفوه إلا صوت
هدير المياه . وإذا بهم يفيقون فجأة على صوت يعلو ثم يعلو
حتى أصبح يطغى على صوت هدير الشلال ! استمعوا إلى
الصوت ، وكان مصدره يأتي من السماء . فلما هرعوا إلى الخارج
يستجلون الأمر ، وجدوه طائرة تحلق فوق رؤوسهم !

أخذوا يهللون ويصيحون من الفرح . أخيراً ! لقد أتاهم
الله بالفرج القريب ! لا بد أنها طائرة تحمل خالهم « ممدوح »
جاء لينقذهم أخيراً ، ويحملهم إلى حيث الأمان ! ولكن
واحسرتاه ! إن سعادتهم لم تتم ! فقد نسوا في غمرة الفرح
طائرة الرئيس « مجاهد » . نعم . . إنها هي بعينها . على كل

حال هذا أمر يمكن التأكد منه ، وما عليهم إلا التسلل إلى
المكان الرابضة فيه والتأكد من وجودها !

أما إذا كانت هي حقيقة طائرة « مجاهد » التي وصلوا بها ،
فقد فقدوا الآن ما تبقى لهم من أمل . . وآخر وسيلة لإنقاذهم .
أيقضون حقاً بقية حياتهم في هذا الوادي الرهيب المهجور ؟
الآن فقط لم يصبح الأمر في نظرهم مجرد مغامرة ! إنما هي كارثة
حلت بهم . بل هي مصيبة كبرى وطامة عظمى لم تكن لهم
في الحسبان ! ! . . .

لو كانوا يعلمون بنية « مجاهد » و « معروف » على مغادرة
الوادي ، لتسللوا إلى الطائرة في جنح الظلام واختبئوا فيها ،
ولحملتهم معها إلى أي مكان معروف . . أي مكان ! ولكن
ما فائدة التفكير في ذلك الآن وقد فات الأوان ، ووقعت
الفأس في الرأس !

* * *

كانوا ينظرون إلى الطائرة وهي تبعد عنهم وتحقق في
النضاء ، ليختفي معها آخر خيط من أمل بقي لهم في النجاة
قالت « عالية » : أتظنون أنهما سيرجعان ثانية ؟
فأجابها « عامر » : أظن ذلك . إنهما يتبعان أثراً غيبياً ،

ولا أعتقد أنهما سيخذلان بهذه السهولة ! وقال « عارف » :
ولكن ماذا يكون هذا الشيء الثمين الذي يبحثان عنه في مثل
هذا المكان القفر ؟ فأجابه « عامر » : هذا ما يستعصى على
إدراكه ! والآن هيا بنا لتأكد من أنهما قد غادرا الوادي .
ولما وصلوا إلى قرب الكوخ ، تأكد لهم خلوه ، كما كان بابه
مغلقاً بالمفتاح ، لا يفلح في فتحه ركل أورفص ! وكانت النار
قد أطفئت وأزيلت آثارها تماماً . قال « سمارة » وهو يضحك :
لو كنا نعلم أنهما سيغادران الوادي ، لسألناهما أن يحجزا لنا
أربعة مقاعد بالدرجة الأولى في الطائرة ! ترى متى سيعودان
إذا رجعا أصلاً ؟ فقال « عامر » : ليس قبل باكر بأية حال .
والآن هيا بنا لنلق نظرة على الصناديق الخشبية ، ونأكل شيئاً
تحت الشجرة . وكانوا قد حملوا معهم بعض الطعام .
وجدوا الصناديق الخشبية الفارغة في مكانها كما هي ،
يخفيها غطاء المشمع . فاطمأنوا قليلاً على عودتهما ، وإلا لنقلنا
معهما الصناديق في الطائرة !
وبعد انتهائهم من الطعام والمعاينة ، قفلوا راجعين إلى
معسكرهم . وكان في نية « عالية » أن تصطحب « عامر »
و« سمارة » لمشاهدة الكهف المتكلم ، والذي كانت تفخر دائماً

باكتشافه ! ولكن ما إن وصلوا إلى الكهف حتى صاح « عامر »
قائلاً : يالى من غبي مهمل . . تصورا أني نسيت فتاحة
العلب تحت الشجرة حيث كنا نأكل ! ! .. فقالت له « عالية » :
وما العمل الآن ؟ هذه الفتاحة هي نصف حياتنا ، وماذا لو
ضاعت ! إننا سوف نموت جوعاً ! فقال « عامر » سأذهب
للبحث عنها ، ولتذهبي أنت يا « عالية » مع « عارف » و« سمارة »
لمشاهدة الكهف المتكلم ! وسأراه أنا في فرصة أخرى . .
فالفتاحة أهم من الكهف !
غادر « عامر » المكان وكان يصطحب معه « زاهية » . .
وكانت تصيح بشدة احتجاجاً على فراقها « لسمارة » وكانت
تصيح : « زاهية » مسكينة ! « زاهية » مسكينة !
عثر « عامر » على الفتاحة حيث تركها ، وما كاد يقفل
راجعاً حتى سمع أزيزاً مألوفاً ، أخذ يعلو حتى لاحت له طائرة .
فتمعجب « عامر » وأخذ يحدث « زاهية » قائلاً : ما هذا ؟
لم أكن أنتظر عودتهما بهذه السرعة الخاطفة لا بد أنهما
ذهبا إلى مكان قريب ! والآن إياك يا « زاهية » أن تفتحي
متفارك بكلمة واحدة ! . قال هذا وتوجه إلى الشجرة القريبة
من الكوخ ، وتسلفها في انتظار وصولها ، لعله يسمع أويري

منهما ما يميظ اللثام عن مهمتهما .

كان « عامر » يراقب الطائرة بمنظاره ، وكم كانت دهشته عندما رأى أربعة أشخاص يهبطون سلم الطائرة : الرئيس « مجاهد » و « معروف » ، يتبعهما رجل غريب يقود عجوزاً ، تظهر آثار الكلال والإعياء على وجهه ، في حين قيّدت يداه بحبل خلف ظهره !

كان من الواضح أن العجوز أسير ، وكان يتعثر في سيره ، ولكن حارسه غليظ القلب كان يركله بقدمه ، ويسحبه ويدفع به إلى الأمام ! وهكذا ظلّ الركب يسير ، يتقدمه الأسير ، حتى وصلوا إلى المعسكر .

أوقد الرئيس « مجاهد » النار ، وطلب من « معروف » أن يذهب إلى الكوخ ليحضّر بعض الطعام ، بعد أن أعطاه مفتاحه الغليظ . على حين جلس الأسير على الأرض وهو يشنّ من الإعياء الشديد . أما حارسه فقد جلس بجواره وهو ينظر إلى الرئيس « مجاهد » في صمت . وكانوا يأكلون ويتحدّثون بصوت خافت ، لم يصل كلّه إلى أذني « عامر » . وكان الأسير ينظر إليهم في لُفّة يسألهم بعض الطعام والماء . ولكن « مجاهد » ضحك ضحكة ساخرة وقال : لن تأكل أو تشرب قبل أن



جلس الأسير على الأرض وهو يشنّ من الإعياء الشديد

تخبرنا عما نريد ! وعندما لم يجب الأسير ، لكمه حارسه لكمة
ترنح لها ، مما أدخل الذعر والألم في قلب « عامر » ، وكان يرثى
لحال الأسير المعجوز المغلوب على أمره . وأخيراً نطق الأسير
وقال : وماذا تريدون مني الآن ؟ أليست الخريظة معكم !
فأجابته « مجاهد » : إنها مبهمة غير واضحة ، ويتعذر علينا
قراءتها ، وربما تكون مضللة ! ولكنك ستدلنا على الطريق
بنفسك باكرًا ! فقال الأسير المعجوز : إني أشعر بالضعف ،
ولا يمكنني السير ، فالطريق وعر والمسافة طويلة . . . فقطاعه
« مجاهد » : لا بأس . . سنجرّك جرًّا إلى هناك إذا اقتضى
الحال ! وإذا رفضت فسمنيتك جوعاً وعطشاً !

وبعد أن اتبها من طعامهم ، أخذ « مجاهد » في التثاؤب ،
وقال للحارس : والآن إلى الكوخ ، سننام أنا و « معروف »
على المراتب ، وستنام أنت يا « حليمو » على الكرسي ، وسنلقى
« بزيدان » على الأرض وهو موثوق اليدين !

سأهم الأسير « زيدان » أن يرحموا كهولته ، وأن يفكّوا
وثاقه ، ولكنهم رفضوا . وكان قلب « عامر » ينفطر عليه من
الأسى والألم ، ولكن لم يكن في وسعه أن يفعل له شيئاً ! .
هبط الظلام بسرعة وكان « عامر » في طريقه إلى الكهف

الصغير ، ولكن عينيه كانتا كعيني القط تكشف في الظلام .
وكان كلما التبس عليه الطريق دلته عليه « زاهية » ، فكانت
تطير أمامه كالدليل تقوده بغريزتها إلى الطريق الصحيح !
وصل « عامر » إلى الكهف بعد أن كاد « عارف » و « عالية »
و « سمارة » ييشون من وصوله ، واعتقدوا أنه ضلّ سبيله في
الظلام ، أو حدث له مكروه .

ولكنه ما كاد يهّل عليهم بوجهه في الكهف ، حتى هللوا
لرؤيته ، وسألته « عالية » على الفور : هل وجدت الفتاحة ؟
فأجابها : نعم وجدتها ، وجئت لكم أيضاً بأخبار هامة ! . .
هياً بنا نأكل شيئاً . . وسأروي لكم الكثير عند تناولنا الطعام . .



الريسي مجاهد

روى لهم « عامر » ما
شاهده بالتفصيل ، وكانت
« عالية » تتألم لما حدث
للأسير العجوز « زيدان » .
وقال « عامر » : إن الموقف
ابتدأ ينجلى ، فهناك كنز
مخبأ في الوادي ، وإن هؤلاء
الرجال في أثره ، وإنهم تمكنوا
بطريقتهم الخاصة من

الحصول على خريطة تشير إلى مكانه ، ولكن تعذر عليهم مع
ذلك الوصول إليه . وأخيراً وضعوا أيديهم على من يعرف طريقه !
وقال « سمارة » : فأسروه !! وهم يريدون أن يجبروه على أن
يبوح بالسّر الخطير ! فصاحت « عالية » : يا للوحوش ! وهل
تظنون أن « زيدان » المسكين سيخضع لهم ؟

فقال « عامر » : إن العجوز لا حيلة له . . وأرجو أن يتقدّم
طلبهم حرصاً على حياته . وقال « سمارة » : ولكن ماذا يمكننا

أن نفعله نحن الآن ؟ فقال « عامر » بعد تروّ وتفكير : الآن . .
يجب على أحدنا . . أو بعضنا . . أن يتبع هؤلاء الرجال لمعرفة
هذا المخبأ ، فقد تمكن بطريقة ما أن نطلب النجدة ،
وننقذ هذا الشيء الذي يبعثه . ومن المؤكد أنه لا يخصمهم !
فهم لصوص مجرمون ! .

وقالت « عالية » : وماذا تظن هذا الشيء ؟ أهو سباتك
ذهب أم جواهر ؟ فأجابها « عامر » : لا أحد يعرف . . قد لا
يكون هذا أوزاك . . وقد لا يكون كترّاً على الإطلاق !

ظلاًو يفكرون فيما قاله « عامر » ، ولكن « عالية » لم تعجبها
الفكرة ، إذ ماذا يحدث لو اكتشفهم الرجال وهم يتبعونهم
وقبضوا عليهم ! هنا تكون الطامة الكبرى ! . ثم قال « عامر » :
سأذهب مع « سمارة » صباح الغد لتعقبهم ، وستمكث
يا « عارف » مع « عالية » في الكهف ، فالمغامرة رهيبية ،
ولا داعي لتعريض « عالية » للخطر . . . فقاطعتها « عالية »
وهي في أشد حالات الغضب : ماذا تقصد !! أتقصد أن
تحفظ بالمغامرة لنفسك وحلك أنت و « سمارة » ! سأحضر
معك أنا و « عارف » مهما كلفنا الأمر !

رضخ لها « عامر » صاغراً ، فهو أدري بنعناد « عالية »

وإصرارها ، ولوعها الشديد بالمغامرة والمخاطرة ، وقال :
حسناً ! ستأتى معنا يا «عالية» .. وسنمر من هذا الطريق
السفلى عند الصخرة السوداء ، وننتظرهم هناك ، ونقتنى أثرهم
من بعيد !

واقفوا على خطته ، واضطجعوا على الكليم استعداداً للنوم
المبكر ، فالغد يوم عاصيب . وكان هذا اليوم هورابع أيامهم
في الكهف الصغير !

• • •

استيقظ المغامرون وهم يشعرون بالفرح ، فهم مقدمون
على مهمة قد تكون خطيرة ، ولكنها قد تكون حاسمة ، ذات
نتائج باهرة !

تجمع المغامرون عند الصخرة السوداء ، وكان «عامر»
يجول بمظاره في أرجاء الوادى . وأخيراً أعلن لهم بأن العصابة
تتقدم في الطريق . وذكر أنه يرى الأسير العجوز وهو
يترنح في سيره ، وأن حارسه يدفعه أمامه بقسوة وغلظة وشراسة .
كان الطابور يسير و«مجاهد» في مقدمته ، لا يغيب أثره
عن أعين المغامرين . وكانت «زاهية» تترنح كالعادة على كتف
«سمارة» وهى صامتة ، كأنها تدرك أهمية صمتها في مثل هذه

المهمة الخطيرة !

وكان «عارف» يتولى عملية حفر العلامات على الصخور
وجذوع الأشجار ، تأميناً لسلامة طريق العودة . إلى أن وصلوا
إلى مكان منزل من الجبل ، تتناثر فيه قطع الصخور على
مختلف أحجامها ، وجذوع وفروع الأشجار . فقال «عامر»
فجأة : ولكن أين «مجاهد» ورجاله ؟ إنى لا أراهم ! لقد
اختفوا ! فلنكن الآن على حذر ، فالمكان هنا منبسط مكشوف ،
ولكنى أعتقد أنهم في مكان ما وراء هذه الصخرة الكبيرة .
فلنذهب إليها ولا تصدر صوتاً . تسلقوا الصخرة .. فوجدوا بها
شجيرة كثيفة اختبئوا وسطها ، وأخذوا ينظرون خلسة على المكان
الفسيح . وإذا بهم يرون الجماعة تحتهم عن قرب ، وقد وقف
«زيدان» العجوز وسطهم وهو مكتوف اليدين ، يترنح من
التعب والجوع والعطش ! وكان الأسير العجوز يشير بيده
ويقول : كان المدخل هنا ! .. فصرخ فيه «مجاهد» : ماذا
تقصد كان هنا ! أين بالضبط ! ..

فقال الأسير : هنا في مكان ما ! فالسيل مر من هنا ..
وسدّت الصخور المنافذ ، وتغيّرت المعالم ! ..
أخذ «مجاهد» يصيح فيه وينهره ، ثم أصدر أمره إلى



وكان زيدان يقع على الأرض منكفئاً على وجهه ، في محاولته البائسة لإزالة الصخور معهم !

الجميع بإزالة الصخور بأيديهم العارية . وكان هذا من المستحيل ، فالصخور ضخمة تعدّ بالآلاف ، لا تزيلها إلا آلات رافعة ، وونشات قوية ! وكان منظر « زيدان » العجوز يفتت الأكياد ، وهو يقع على الأرض منكفئاً على وجهه ، في محاولته البائسة لإزالة الصخور معهم !

وعندما أدرك المغامرون أن « مجاهد » وعصابته قد انتابهم اليأس ، قرروا الإسراع في العودة إلى الكهف . وكانوا يهتدون إلى طريقهم بسهولة ، والفضل يرجع إلى دقة « عارف » ومهارته في رسم الطريق على الأشجار والصخور . ولما وصلوا إلى الكهف وهم يلهثون من التعب والركض ، جلسوا يتحدثون عن الأسير العجوز « زيدان » ، وماذا يفعله الآن هذا المسكين وسط الصخور المترامية ، والأشجار التي اقتلعتها السيول من جذورها ! هل تركوه وحيداً بجوار الكثر ليموت بعد عذاب أليم !

وكانت « عالية » أكثرهم تأثراً بما أصاب « زيدان » العجوز ، حتى كادت الدموع تطفر من عينيها ، وقالت : كيف لنا أن نترك هذا العجوز وحيداً وسط هؤلاء الوحوش ، يجب علينا إنقاذه .

وقال «سمارة» : هذا أقل ما يجب علينا عمله . . ولكني في الوقت نفسه أرجو ألا يستسلم «مجاهد» لليأس ويرحل عن المكان ، ويتركنا وراءه كالسفينة الجالحة في خضم هذا الوادي الرهيب المنعزل !

ظلوا قابعين في مكمنهم مدة طويلة ، حتى تأكدوا من أن العصابة قد عادت إلى الكوخ بخنئ حنين !.. فقالت «عالية» : والآن . . هل سترك هذا العجوز المسكين في وحدته بين الصخور ليموت من الجوع ؟؟.. فأجابها «عامر» : أنا لا أعتقد أن القسوة بلغت بهم حد تركه هكذا ليموت . فزيدان مهما كان يحمل بين جنبيه سراً خطيراً ، يصعب عليهم التفريط فيه بهذه السهولة !. فقال «عارف» : وماذا تقترح الآن ؟

قال «عامر» : أقترح أن أذهب مع «سمارة» إلى الكوخ أولاً ، لربما اصطحبوا «زيدان» معهم هناك ، وإلا فلنذهب جميعاً لإيقاظه من بين الصخور . فقالت «عالية» : أفلعل ما نشاء . . بشرط إنقاذ «زيدان» من الموت ! غادر «عامر» و«سمارة» الكهف في طريقهم إلى الكوخ ، وكانت «زاهية» تصرخ كعادتها محتجة على ترك «سمارة»

يذهب بدونها ! ولما أشرف على الوادي بحث «عامر» بمنظاره عن أثر العصابة ، فشاهد عامود الدخان يتصاعد في الهواء ، فتأكد من وجودهم ، وأنهم يتناولون الآن طعامهم .

ظل «عامر» و«سمارة» في مكانهما مدة طويلة ، انتظاراً لتحرك «مجاهد» و«معروف» و«حليمو» ، ولكن ما لبث «عامر» أن رآهم يتجهون نحو الطائرة ، ولم يكن «زيدان» العجوز بينهم !

أين «زيدان» يا ترى ؟ هل تركوه بين الصخور ! أم إنه حبس الكوخ ؟ ولماذا هم يتجهون نحو الطائرة ؟ أيفادرون الوادي أخيراً بعد أن يشسوا من الحصول على الكتر ؟ يا للكارثة التي ستحل بهم لوهم تركوهم وحيدين في هذا المعتقل !..!

وبعد قليل سمعا أزيز المحركات وهي تدور ، فتملكهما الرعب القاتل ! ولكن ظلت محركات الطائرة تدور لفترة طالت ، وشاهدتهم «عامر» وهم يهبطون من الطائرة - وما زالت محركاتها دائرة - ويحومون حولها ، ثم يدخلونها ثانية . فتأكد من أنهم يطمثنون على سلامة محركات الطائرة ويجهزها تمهيداً للإقلاع بها في وقت قريب . قال «عامر» «لسمارة» وهو

يسلمه منظاره : امكث أنت هنا وراقب الطائرة ، وسأنتهز
فرصة انشغالهم بالطائرة وخلو الكوخ ، لربما كان « زيدان »
سجيناً بداخله !

عدا « عامر » نحو الكوخ وهو يحتمى في الصخور
والأشجار حتى وصل إليه . فتطلع من النافذة بعد أن قفز وتعلق
بحاقتها ، وبحركة رياضية بارعة وصلت رأسه خلف الزجاج .
وإذا به يفاجأ « بزيدان » وهو مشدود بالحبال إلى كرسي وسط
الحجرة . وكان المسكين يتأوه وهو يحاول الفكاك من رباطه .
فكان يبدو كأنه صورة مجسمة للبؤس والعذاب . ولكن كيف
له إنقاذ « زيدان » والباب محكم الغلق ، يقف أمامه كسد
منيع ! ولكنه رأى فجأة شيئاً لم تصدقه عيناه في أول الأمر .
ولكن ها هو أمامه ! كيف يكذب عينيه ! ها هو مفتاح غليظ
معلق في مسار باب الكوخ . هو مفتاح الباب بلا ريب ،
تركوه معلقاً في الباب حتى يسهل على كل منهم دخول الكوخ
في غيبة الآخرين ! فتناول « عامر » المفتاح بيد مرتجفة .
وفتح الباب . ودخل الحجرة بسرعة ، فنظر إليه « زيدان »
وقد حفظت عيناه من الدهشة والمفاجأة . فبادره « عامر » وهو
يهش في وجهه قائلاً : جئت لإطلاق سراحك . تريد أن

تأني معي ؟

وشرع « عامر » في فك وثاقه ، ووضع الحبال الثمينة في
جيبه ، ثم خرجا معاً . وكان « زيدان » بترنح في سيره من الإرهاق
الشديد . ثم أغلق الباب ووضع مفتاحه على المسار !
قال له « عامر » : يالها من مفاجأة عظيمة عندما يكتشف
« مجاهد » وعصابته فرارك العجيب ، وستعجبون كيف تسنى
لك فتح الباب من الخارج وأنت داخل الحجرة ، موثوق
اليدن والقدمين . سيظنون أنك من الجن ولست من البشر !
فهؤلاء الناس عادة يؤمنون بالخرافات وتسيطر على عقولهم
معتقدات غريبة .

كان « عامر » لا يصدق أنه سيصل « بزيدان » إلى حيث
ترك « سمارة » بجوار الإسطل . فقد كان العجوز يتحامل على
نفسه ، و « عامر » يكاد يحمله حملاً ! . ولما وصلا ، ساعده
« عامر » و « سمارة » على دخول الإسطل ليبيت ليلته ، حيث
كان يتعذر عليه الآن السير حتى الكهف الصغير . وقال « عامر »
« لسمارة » أن يذهب ليخطر « عارف » و « عالية » بما حدث ،
وأن يحضر معه طعاماً وشراباً « لزيدان » ، وأنه سينتظره حتى عودته
جلس « عامر » بجواره يتحدث إليه بعد أن أنس له

« زيدان » . ثم فاجأه بقوله : أنت تعرف سرّ الكتر ! فاندھش
« زيدان » وقال : الكتر !! نعم ! نعم ! أنا أعرف مكانه !
أعرف كل شيء عنه .. أنت ولد طيب .. وأنا مدين لك
بالكثير فقد أنقذت حياتي .. سأرسم لك خريطة تقودك إليه ..
فما فائدة الكتر لي وقد أصبحت كهلاً مريضاً على شفا الموت !
تجهّم وجه « عامر » .. فقد كان يعلم مكان الكتر .. إنه
بين أكوام الصخور .. وما الفائدة ولا يمكن أن تصل إليه
الآن يد إنسان !! ..

فقال « عامر » : ولكني أعرف مكان الكتر ، لقد رأيتك
هذا الصباح وأنت تشير « لمجاهد » عن مكانه .. فلا تتعب
نفسك في رسم الخريطة ! فضحك « زيدان » ضحكة خبيث
وقال : إنهم سدّج وبلهاء ! فلا كتر هناك في هذا المكان !! ..
فاندھش « عامر » وقال : أتعني أنك خدعتهم ! وأنتك
كنت تعلم بوجود هذه الصخور ، وادّعت أن مدخل الكتر
هناك ! أتعني أن الكتر ليس وراء هذه الصخور !! ..
قال « زيدان » وهو يضحك : نعم .. لا كتر هناك ! لقد
غرّرت بهم ! وكم أنا سعيد كلما تذكّرت « مجاهد » وهو
ينبش الصخر حتى أدمى يديه !

يا لها من خدعة بارعة من « زيدان » ! ولكن أين هو
مكان الكتر الحقيقي ؟؟

قال « زيدان » : سأرسم لك خريطة تقودك إلى الكتر .
ثم سكت برهة وقال : وإلى خارج هذا الوادي أيضاً .. عن
طريق ممرّ « الرياح » .. هكذا يسمونه ! وعليك أن تأخذ
خريطة الكتر لتسلمها إلى سلطات الأمن !

بالسعادة « عامر » عندما سمع هذا الحديث . ويا لها من
مفاجأة ضخمة تنتظر خاله « ممدوح » لم تكن تطرأ له على بال .
إنه سعيد بمغامرتهم ، فلن يلومهم عليها أحد بعد الآن !
قال « عامر » : ولماذا لا تأتى بنفسك معنا لتدكنا على
الطريق ؟ وإلى سبيل النجاة !

فأجابه « زيدان » : إني رجل مريض ، وإذا لم أجد
الطبيب والدواء فسوف أموت هنا ! سأرسم لك الخريطة الآن ،
وكذلك ممرّ الرياح . والممرّ ضيق جداً ولكن يسهل عبوره !
أخرج له « عامر » مفكرته ، وكان يراقبه بدقّة وهو يخطّ
عليها بقلمه الرصاص طريق الكتر .

هذا هو الشلال .. فهو يعرفه جيداً .. وما هي ذى صخرة
سوداء غريبة الشكل ، تبدو من بعيد كهزم سقارة المدرّج

في الطريق إلى الكثر



سمارة

سارع «عامر» بصحبة
«سمارة» يتحدثان وهما في
طريقهما إلى الكهف الصغير
فقال «عامر»: أتعرف
يا «سمارة» ما حصلت عليه
من «زيدان»؟ إنها خريطة
تبين موقع الكثر. فأجابه
«سمارة» بلا مبالاة: هذا
ليس بجديد علينا، فنحن
نعرف أين هو الكثر!

فقال «عامر»: أبداً، لقد غرر بهم هذا العجوز،
والكثر في موقع آخر! فسأله «سمارة» بلهفة: وما هو هذا
الكثر؟ فأجابه: لقد نسيت أن أسأله، وسنعرف ذلك منه غداً
على كل حال. كما دلتني على طريق الخروج من الوادي عبر
ممر الرياح!

كاد «سمارة» يطير فرحاً بهذه الأخبار السارة المثيرة.

ثم يتقدم حتى يصل إلى شجرة ضخمة تميل حتى تكاد تهوى
على الأرض... ثم يسير في اتجاه السهم حتى يصل إلى حائط
صخري شاهق... وهناك يجد فتحة عالية تصعب رؤيتها...
هي مدخل كهف في باطن الجبل الأصم... حيث يوجد
الكثر الدفين!!..

ثم تابع الرسم وهو يشير إلى طريق ممر الرياح، في منحنيات
ومنحدرات خطيرة وعرة... حتى يصل إلى الممر... حيث
لا تخطئه عين. فهو ممر ضيق جداً بين جبلين مرتفعين! كان
«عامر» مأخوذاً بالرسم لا يفكر في شيء سواه، حتى فاته أن
يسأل العجوز عن فحوى الكثر... أو عن مكان إقامتهم وأين
هم... أو عن المكان الذي يؤدي إليه ممر الرياح!!..

ولماذا العجلة وهو سيأتي إليه في الغد، ليصطحبه بعد
أن يستريح، إلى مخبأهم في الكهف الصغير، حيث يخفيه
عن أيدي عصابة الشرير «مجاهد».

وصل «سمارة» بالطعام والشراب، فأكل «زيدان»
وشرب بنهم وشراهة. وشكرهما كثيراً على إنقاذهما حياته.

ثم تركاه وحيداً في الإسطبل، على وعد منهما بأن
يعودا في الغد ليقوداه إلى حيث يقيمون في مخبأهم الأمين.

فأخيراً قد لاح لهم طريق النجاة .. والعثور على الكثر . ولكن
« عامر » أبدى قلقه على مصير الأسير العجوز . فلا ريب أن
الشريـر « مجاهد » سوف يقلب عليه الوادى ، عندما يكتشف
هربه ، وربما عثر عليه فى الإسـطبل ! ..

وأخيراً وصلا إلى الكهف ، وكانت « عالية » و « عارف »
فى انتظارهما وهما على أحر من الجمر . فأخذته « عالية »
بالأحضان ، وسألته عن « زيدان » العجوز ، فأخبرها « عامر »
بما حدث ، وبخريطة الكثر التى رسمها « زيدان » ، وبممر
الرياح طريق النجاة ! فصاحت « عالية » : لقد كنت أحلم
دائماً بالعثور على كثر حقيقى ، وها هى ذى الفرصة سنحت
أخيراً . متى سندهب إلى الكثر ؟ باكراً ؟ .. فأجابها « عامر »
فى حزم : لن نذهب إليه !! .. يجب أولاً أن نخرج من هذا
الوادى بأسرع ما يمكن ، لنذهب إلى خالنا « ممدوح » ،
وهو الذى سيتولى البحث عن الكثر ! وأن نتصل بوالدينا
لنطمئنها علينا ! ويؤسفى جداً يا عزيزى « عالية » أن أخيب
أملك !

ثم وجه حديثه إليهم جميعاً وقال : يجب أن ننام مبكراً ،
فالغد يوم مشحون بالعمل ! سندهب أولاً لإحضار « زيدان » ،

ثم البحث عن ممر الرياح ، ثم العثور على خالنا « ممدوح » !
فقال « عالية » فى استسلام : الظاهر أن مغامرتنا أصبحت
على وشك الانتهاء .

ولكن كم كانت « عالية » بعيدة فى تصوورها عن الصواب !!
لأن مغامرتهم كانت فى الحقيقة لا تزال أبعد ما تكون عن
الانتهاء !! بل هى لم تبدأ بعد !! ..

* * *

صحا « عامر » فى الفجر ، ولم يشأ إيقاظهم حتى يأخذون
قسطهم من الراحة استعداداً لمفاجآت اليوم الشاق العصيب .
كان يوماً عاصفاً ، والرياح تهب بشدة تكاد تقتلع الأشجار
ولكنه رأى مع ذلك أن يتوجه لإحضار « زيدان » كسابق وعده
له . وعندما دخل حيث تركه بالأمس ، وجد المكان خالياً ؟!
لقد اختفى الأسير العجوز ! لم تكن فى ذلك مفاجأة كبرى
« لعامر » ، فقد كان من المحتمل أن يعثر عليه « مجاهد » . ولكنه
رأى قبل أن يرجع إلى الكهف ، أن يذهب إلى « نقطة المراقبة »
ليتسلفها ، ويكشف بمنظاره عما يحدث فى الوادى .. لعله
يرى « زيدان » أيضاً !

وما كاد يصل تحت الشجرة وهو يقاوم الريح ، حتى شعر

بيد فولاذية تقبض عليه من الخلف ، وبصوت أجش يصبح فيه : وأخيراً ضبطناك يا مجرم !! .. من أنت ؟ وماذا تفعل هنا ؟؟ فنظر إليه « عامر » في فزع ، فعرفه تَوَّأ . إنه « حليمو » حارس « زيدان » ! كم هو فظ غليظ خشن المظهر ! لقد كان في انتظاره بعد أن عثر على « زيدان » في الإسطبل ، ونقله إلى الكوخ ثانية . وكانوا على يقين من أن أحداً سوف يأتي لإنقاذ « زيدان » .

أراد « عامر » أن يتخلص من قبضة « حليمو » الحديدية . ولكن هيهات !

كان صرير الرياح يصم الآذان ، يكاد يقتلعهما من سطح الأرض ، عندما حدث ما لم يكن في الحسبان ! لقد سقط شيء ثقيل على رأس حليمو من فوق الشجرة !! نظر « عامر » إلى هذا الشيء فوجده إحدى حقائبهم الثقيلة ، وكانت لا تزال بين الفروع كما تركوها ، وقد هوت على أم رأس « حليمو » بفعل الرياح ، فسقط فاقد الوعي بجوار جذع الشجرة السميك ! فبادر « عامر » بإخراج الحبال التي أخذها من الكوخ ، وقيدها بها يدي « حليمو » وقدميه . ثم أخرج حبله الطويل الملفوف حول وسطه ، وأحكم به ربطه في جذع الشجرة فأصبح



كان صرير الرياح يصم الآذان عندما حدث ما لم يكن في الحسبان ! لقد سقط شيء ثقيل على رأس حليمو من فوق الشجرة !

« حليمو » والشجرة قطعة واحدة !

وبعد أن انتهى من هذه المهمة ، تسلق الشجرة بسرعة ،
وصوب منظاره نحو الطائرة ، ولكنه لم يرها على الممر !! كيف
اختفت الطائرة ولم يسمعا صوت محركاتها ؟ لا بد أنها طارت
أثناء الليل ، وكانوا يغطون في نومهم ، واختلط أزيزها بصوت
الريح !

ترى هل غادر « مجاهد » الوادي إلى غير رجعة ؟ وأخذ
« زيدان » معه ، بعد أن يش من استخراج الكتر ؟ هذا
لا يهم الآن على كل حال ، سواء غادروا الوادي أم بقوا فيه .
بعد أن اكتشفوا طريق النجاة عبر ممر الرياح . فهم ليسوا
الآن في حاجة إلى طائرة تنقذهم من ورطتهم ! ولكن كيف
تركوا « حليمو » وراءهم وحيداً ؟ لا بد أن يرجعوا إليه قريباً !
أيكونون قد رحلوا لإحضار المزيد من الرجال والعتاد ؟ هذا
أقرب إلى الاحتمال . . .

• • •

عاد « عامر » بأقصى سرعته نحو الكهف ، وكانت الرياح
تدفعه من الخلف ، فوصله في زمن قياسي ! . كانوا في انتظاره
على مائدة الإفطار ، أو « كليم » الإفطار كما كانت تسميه

« عالية » .

استقبلته « عالية » بلهفة وهي تسأله عن « زيدان » فظهر
القلق على وجه « عامر » وأجابها : لقد رحلت الطائرة ! ورحل
معها « زيدان » ! فقلت « عالية » وقد بدا الحزن العميق على
وجهها : المسكين . . وماذا سنصنع ؟ فأجابها : والآن . . إلى
ممر الرياح ! ! والحمد لله أن العجوز رسم لنا الخريطة ،
وإلا لما كنا اهتدينا إلى طريق النجاة ! والآن فلنسرع ، وسنحمل
معنا أكثر ما يمكن حملة من الطعام والماء ، فمن يعلم متى
سنجد طريقنا إلى العمران .

قال « سمارة » : إن أشد ما يدهشني هو أن هذا الوادي
غير مأهول ! فلماذا لا يأتي الناس إليه إذا كان في الإمكان
الوصول إليه عبر هذا الممر ؟
فأجابها « عارف » : لا بد أن هناك سيباً وجبياً نجعله
يتمتعهم من ذلك ! ! . .

ساروا في طريقهم إلى الممر ، متبعين الخريطة الموضح
بها الدروب والمسالك والجهات الأصلية الأربع . وعلى هدى
البوصلة التي لا تفارق « عامر » . أما حقائبهم فكانت لا تزال
فوق الشجرة ، وأمتعتهم في الكهف الصغير ، تركوها كلها في

أماكنها ، فهي عسبة ثقيل عليهم ، ومادام في نيتهم العودة مع
خالهم «ممدوح» للبحث عن الكثر !

قال لهم «عامر» : لنسير الآن في الطابور الهندي !
فسألته «عالية» مندحشة : وما هو الطابور الهندي ؟ .. فأجابها
وهو يضحك : هو أن يتبع كل واحد منا الآخر في طابور مفرد
طويل .. حتى لا تتفرق ويذهب كل منا في طريق ! وهي
الطريقة المتبعة في اختراق الغابات الهندية الموحشة الشاسعة !
كان الطريق شاقاً ، اجتازوا فيه المنحنيات الحادة ،
والتدحدرات والأكمام الخطرة الوعرة ، وهم يسرون في الطابور
الهندي لئلا يتفرقوا ، كما أشار عليهم «عامر» ، حتى وصلوا
إلى مرتفع يطل على جبلين صحريين ، يفصلهما ممر ضيق
لا يسمح بمرور سيارة !

قال «عامر» : هذا هو ممر الرياح بلا شك . إنه يبدو
ضيّقاً لأننا نراه عن بُعد .. ولكنه سيتسع عندما نهبط من هذا
المرتفع .

ولكن كانت المفاجأة مذهلة عندما وصلوا إلى باب الممر !
فقد وجدوه مسدوداً بكتل الصخور الضخمة التي جرقها
السيول ! ! .. ولا يمكن حتى لما عز جليل أن تتسلقها !

سكتوا عن الكلام وقد انتابهم اليأس القاتل . كانوا في
أول الأمر لا يصدقون أعينهم .. باللحظ العاثر .. لقد كانوا
على قاب قوسين أو أدنى من النجاة !

وأخيراً نطق «سمارة» : لا عجب في أن الوادي مهجور ..
فلا دخول ولا خروج ولا مرور ! وأضاف «عارف» : ولا وسيلة
إلى دخوله والخروج منه إلا بالطائرة !! إن هؤلاء المجرمين
قد علموا بسدّ الممر فاستعملوا الطائرة ! .. لا بدّ أنهم من كبار
المجرمين أو المهربين الخطيرين .

بدا الاضطراب والوجل واضحاً على وجوههم ، وخاصة
«عالية» . فقد تأكد لهم الآن أنهم في موقف لا يحسدون عليه !
وأن مأزقهم لا مخرج لهم منه إلا بفرج من عند الله .

قالت «عالية» بصوت مرتعش : وما العمل الآن وقد
حوصرنا في هذا الوادي ؟! فأجابها «عارف» على الفور :
فلنرجع إلى الكهف .. ولنبحث عن الكثر .. لا بدّ أن نعمل
عملاً .. فإذا عثرنا على الكثر فسوف يعوضنا عن خيبة أملنا
هذه ! . وقال «سمارة» : ولم لا ! فالرجال رحلوا ومعهم
«زيدان» .. فليس أمامنا من عمل إلا البحث عن الكثر !
وكم سيكون مثيراً أن نعثر عليه .. وأن نتجح فيما لم نتجح فيه

هذه العصابة الخطيرة !

قالت « عالية » وقد نسيت نفسها وذهب عنها الخوف
فجأة : وإذا عثرنا على الكتر ، هل سنحصل على نصيبنا فيه ؟؟ ..
ها بنا الآن نتصيد الكتر ! !

* * *

بدءوا مسيرتهم نحو الكتر من الشلال تبعاً لما هو مبين
بالخريطة ، وتسلقوا درباً صاعداً وعراً . وبعد سير طويل مرهق
شاهدوا من بعيد الصخرة السوداء الهرمية الشكل . . . إنها تبدو
تماماً كهرم سقارة المدرج ! إنها علامة مميزة لا يخطئها إنسان !
ومن هنا أخذوا يجولون بأبصارهم بحثاً عن الشجرة التي تكاد
تهوى على الأرض . . إن الأشجار هنا كثيرة ! ولكنها كلها
مستقيمة ! ولكن « عامر » اكتشفها فجأة بمنظاره ، وكانت
تنمو في مكان منعزل على أكمة مجاورة . فصعدوا الأكمة
وجلسوا تحت الشجرة ، وكان يحيل إليهم أنها ستهوى فوق
رؤوسهم ، حتى يستردون أنفاسهم ، ويدرسون الخريطة .
وكانت الخريطة تشير عليهم بالسير شرقاً لنصف ساعة تقريباً ،
وهناك يجدون منحدرًا يهبطونه ، ثم يتابعون السير غرباً تبعاً
للسهام المرسومة ، إلى أن يقابلهم حائط صخري مائل مرتفع ! ..

وهناك يجدون فتحة عالية . . هي مدخل الكتر ! ! ..

وأخيراً نجحوا في الوصول إلى الحائط الصخري المائل
المرتفع . . لا شك في أنه هو بعينه المكان المقصود . وبحثوا عن
الفتحة العالية . . ولكن أين هي هذه الفتحة ؟؟ لا فتحات
هناك !

جلسوا أمام الحائط يستظلون من حرارة الشمس ،
وكانت « عالية » تستند بظهرها إلى جذع شجرة وارقة ، وهي
تنظر إلى الجدار الصخري بعينها الفاحصة المدققة . وبغته هتفت
وهي تشير بيدها إلى مكان في الجدار : إني أرى الفتحة !
انظروا . . . هناك . . . ترون توةً بارزاً كالشرفة ، يحجب
عنا الفتحة . . إني أرى طرفاً منها !

أسرعوا في تسلق الجدار وهم يتشبثون بالأعشاب والشجيرات
الصغيرة التي تنمو هنا وهناك بين الصخور ، إلى أن وقفوا على
الشرفة الصخرية ، فإذا بهم أمام فتحة غائرة في الصخر . .
يكتنفها الظلام الدامس !

وقفوا أمامها والرهبة تتملكهم . . أيدخلون إلى المجهول . .
أم يكفون من الغنيمة بالإياب ؟ ألا يكفهم أنهم اكتشفوا
مكان الكتر ؟ ويدعون باقي العمل لخالم « ممدوح » ؟ فهو

من كبار رجال الأمن ، ومن صميم اختصاص عمله البحث
عن المخبّات والمهربات ، ومطاردة المجرمين والمهربين !
ولكن حب المغامرة المتأصل في نفوسهم لم يترك لهم مجالاً
للتعقّل والروية . فقرّروا اقتحام الكهف الغامض ! سواء
أكان بداخله الكتر ، أم لم يكن !

حملق « عامر » في الفتحة وهو يقول : باللحظ الحسن !
ولكن أيكون هذا هو مدخل الكتر حقيقة ؟. ثم صوّب بطاريفه
إلى الداخل وقال : أرى هذه الفتحة تؤدي إلى طرقة أو ممر .
أما بعد ذلك فهو غامض مجهول !
وبعد أن تردد قليلاً ، سار على مهل وهو يقدم خطوة ويؤخر
أخرى ، و « عارف » و « سمارة » و « عالية » و « زاهية » يتبعون
أثره في الظانور الهندى .



وقفوا على الشرفة الصخرية ، فإذا بهم أمام فتحة غائرة في الصخر !



عامر

كان «عامر» يرأس
الطابور الهندى ، ويتبعه
الباقون بخطى مترددة ، حينما
قال لهم بنبرات مرتعشة :
يبدو أن هذا المكان يصلح
لإخفاء كتر ! لنسرع فنحن
على وشك العثور عليه !
واصلوا السير فى طرقات
تضيق أحياناً ، ويتسع أحياناً
أخرى ، وتتلوى ذات اليمين وذات اليسار ، ولكنها تتجه دائماً
إلى جوف الجبل .

وفجأة اتسع المكان ، وكشف عن منظر بهتوا له جميعاً ،
وتسمرت أقدامهم على الأرض ! كان ضوء البطارية ينعكس
على ما يشبه الأعمدة الثلجية التى تتخذ أشكالاً عجيبية ، تتلوى
من سقف الكهف الكبير ، كالنجم المنير ! وأخرى مائلة أشبه
بالخوازيق تبرز من الأرض لترتفع فى اتجاه السقف . كان

المنظر فريداً لم يروا له مثيلاً فى حياتهم . أما «عامر» فكان يعلم
ما هو ! فقد قرأ عنه وشاهد صورته فى الكتب والمجلات العلمية .
ولكن كم كانت سعادته لأن يفاجأ به فى مثل هذا المكان القصوى ،
وأن يراه أخيراً رأى العين !

صاحت «عالية» فى فرح : أهذا هو الكتر؟؟.. فاستغرق
«عامر» فى الضحك وأجابها : لا .. إن ما يتلوى من السقف
يقال له «ستالكيت» ، وما يرتفع إلى السقف «ستالجميت» .
وهى من الحجر الجيرى . وأضاف «عارف» : هذا صحيح ..
أذكر أنى قرأت عنها .. ياله من منظر رائع .. وكأننا فى حلم
جميل !

وكانت «زاهية» منبهة مثلهم بالمنظر الخلاب ، وقد
حاولت أن تقلد بصوتها هذه الأسماء الصعبة النطق بعد أن
سمعتها .. ولكنها أخفقت !

قالت «عالية» : وكيف تنبت هذه الأشكال من السقف
والأرض ؟

فأجابها «عامر» : إنها لا تنبت ! لأنه لا حياة فيها ..
بل هى تتكون ! فالماء يتسرب من خلال الصخور ، وترسب
ما تحويه من ذرات الكلس والجير على مرّ المئات بل الآلاف

من السنين ، لتتلى من السقف ، وتأخذ هذه الأشكال العجيبة . وهي المعروفة باسم « ستالكيت » . أما قطرات الماء التي تتساقط منها على الأرض نقطة نقطة ، فهي تتكون ال « ستالجميت » ، التي ترتفع ببطء حتى يلتقيا ويكونا عموداً متصلاً .

فسألته « عالية » باهتمام شديد : وكم من الوقت تستغرق هذه العملية لتتكون هذا العمود الكبير مثلاً . فأجابها : الملايين من السنين ! ويمكن للعلماء أن يقدرُوا عمر الكهف من أطوال هذه الأعمدة ! .

أما « سمارة » فظلّ طول الوقت صامتاً ، فهو لم يقرأ أو يسمع عن مثل هذه الظاهرة الطبيعية النادرة . وهو دخل الكثير من الكهوف في مرسى مطروح مسقط رأسه ، ولكنه لم يشاهد قطّ مثل هذه الغابة من التماثيل والأشجار البيضاء ! إنها أجمل في نظره من كهف علاء الدين الذي سمع عنه في الأقاليم !

تابعوا السير من خلال الأعمدة البيضاء البراقة ، وكذا أنهم يتخترقون غابة سحرية ، إلى أن وصلوا نهاية الكهف . فقال « عامر » : لا يمكن أن يكون الكثر هنا ! لتتابع السير من هذه الفتحة . وكانت هذه الفتحة تشبه بؤابة مقوسة ، مروا من

تحتها ليجدوا أنفسهم في كهف مظلم واسع . انجلي هذا الكهف عن منظر عجيب ، جعلهم ينسون كهف الغابة السحرية !

رأوا ما يشبه النجوم الدقيقة وهي تتحرك وتطير في أرجاء الكهف ، وتضيئ المكان بنور خافت ، سماوي وأخضر . أهو ماس أم فيروزيتلاً على الجدران ؟ أليكون هذا هو الكثر ؟ همست « عالية » : ما هذا ؟ إن الكهف يموج بالحركة ! أهى نجوم حية ؟ أم هي نجوم في دور التكوين ؟ .

لازمهم الصمت طويلاً . فإن أحداً منهم لا يعلم ما هذا ! وأخيراً قال « عامر » ! يبدو أنها نوع من الحشرات المضيئة ! لقد قرأت عنها ويسمونها أحياناً « سراج الليل » . قال هذا وصوب البطارية في أرجاء الكهف ، فاخفت الأضواء الزرقاء والخضراء . إنها لا تظهر إلا في الظلام !

فصاحت « عالية » : لقد اختفت النجوم المضيئة . أطلق النور يا « عامر » لئلا تاتي . كم أود أن أحصل على القليل منها لتضيئ لي غرفة نومي !

وقال « عارف » : لقد اكتشفنا كهفاً متكلماً ، وكهف الغابة البيضاء السحرية ، وكهف النجوم المضيئة السماوية . . .

ولم يبق أمامنا الآن إلا اكتشاف كهف الكتر !! .

أطفأ « عامر » بطاريته ، واخترقوا كهف النجوم في الظلام ، إلى أن وصلوا إلى عدد من الدرجات الصخرية ، هبطوا منها ليجدوا أكبر مفاجأة كانوا يحملون بها ! .

رأوا باباً ضخماً متيناً ، يقف في طريقهم كالسد ! لا بد أن يبدأ قد وضعت هذا الباب في هذا المكان . فهو بلا شك لم يتكون كالعابدة السحرية على مر الدهور . إنه من الخشب وليس من الحجر الجيري ! أليكون هذا الباب وضع هنا ليسد كهف الكتر ؟ وليحرسه من أيدي العابثين أمثالهم !! ..

كانت « عالية » تفحص الباب بنظراتها المدققة ، وقالت : هذا الباب ليس له مقبض ! فكيف نفتح ؟ هل ننادى « افتح باسمي ! » . فأخذ « سمارة » يركله بقدمه لعله يفتح كما فعل مع باب الكوخ ، ولكنه استعصى عليه . . . فقد كان الباب من خشب الأرز المتين ، تبرز منه مسامير كبيرة ذات رموس ضخمة ، وله مزلاجان من الحديد .

قالت « عالية » وهي تشير إلى مسمار معين : ألا ترون معي أن هذا المسمار بالذات مصقول لا يعلوه الصدأ ! صوب « عامر » بطاريته نحوه ، فوجده أكبر حجماً من باقي المسمار ، كما أن

له سطحاً لامعاً ، كأن يبدأ قد اعتادت على استعماله ! ضغط « عامر » على المسمار ، ثم دق عليه بعنف ، ولكن دون جدوى ! إلى أن هداه التفكير إلى إدارته يميناً ، فدار المسمار في يده بسهولة ، ثم دفع الباب فافتح !

انفرج الباب عن كهف واسع مظلم ، لم يتبينوا ما بداخله أول الأمر . وما إن أدار « عامر » ضوء بطاريته في أرجاء الكهف ، حتى بادرت « عالية » بالإمساك بذراع أخيها « عامر » لتحتضى فيه ، وصرخت : يا إلهي ! إن الكهف يكتظ بالناس !! .. سرت القشعريرة في أجسامهم ، وتجمدت أطرافهم ، والتصقوا ببعضهم ، حتى صاروا كشخص واحد ! .

وكان الضوء الخافت المنبعث في أرجاء الكهف ، يزيد من هيئة المنظر ورهبة !

كان الكهف يمتلئ بعشرات الأشخاص ، رجالاً ونساءً ، بعضهم واقف ، وبعضهم جالس ، والآخر نائم ! . وتنتشر بينهم الحيوانات على اختلاف أنواعها ، ميزوا من بينها الكباش والقرود والتمساح والعجل والصقر وغير ذلك !

كان كل ما في الكهف جامداً لا يتحرك ، لا تصدر عنهم حركة أو لفظ أو إشارة !

وبعد أن بدأت الحياة تدبّ في أطراف المغامرين ،
همست « عالية » بصوت لا يكاد يسمع : أنا خائفة ! هيا بنا
نغادر هذا المكان المرعب المخيف . . إنهم ليسوا أحياء ! ولكن
« عامر » تشجّع وخطى خطوة إلى الأمام ، ووقف أمام أحد الرجال
يفحصه بدقة . . وبعد أن هدأت نفسه قليلاً ، صاح عليهم :
ادخلوا . . لا تخشوا شيئاً . . إنها تماثيل !

تقدم « عارف » و« عالية » و« سمارة » إلى الأمام في بطء ،
وأخذ الجميع يتجولون في الكهف بين التماثيل المنتشرة ، وكانوا
يلزمون الصمت التام ، لا خوفاً ولا وجلاً ، بل من روعة ما رأوا ،
واحتراماً لتراث الأجداد والأسلاف !

لقد كانوا في متحف للآثار المصرية القديمة . كل قطعة
واحدة منها تساوى كنزاً بأسره !

كانت بعض التماثيل حجرية ، وبعضها خشبية . وكانت
هناك أيضاً توابيت حجرية ، وأخرى خشبية ذات غطاء ملوّن
بأزهى الألوان والكتابات الهيروغليفية ، وصور الحيوانات
والطيور . وهنا وهناك تماثيل صغيرة لحيوانات مختلفة .

وكان أول من تحدث منهم هي « عالية » ، فهمست
« لعامر » وسألته : وما هذا ! لا تقل لي إنه تمثال حجرى ! . .

فأجابها والدهشة تتملكه : بل هي مومياء محتظة لرجل . .
ربما للملك أو أمير ! وهذا الذى بجوار المومياء هو تمساح محتظ ،
لا بدّ أنه مسروق من مقبرة التاسيح في منفوط ، وهذه مومياء
قرد ، مسروقة من مقبرة القردو بطيبة . وبمناسبة القردو
يا « عالية » ، من الطريف أن من عاداتها الصباح عند مطلع
الشمس وغروبها ، فكان قدماء المصريين يعتقدون أنها إنما
تصبح ترحيباً بالاله الأزلّى « رع » الذى خلق البشر من
دموعه ! ! . .

وقال « عارف » : هذه الآثار مسروقة ، هربتها وجمعتها
هنا عصابة خطيرة من المجرمين العتاة . وهى آثار لا تقدّر بمال .
فنحن وقعنا على كشف هام ، لا يقل أهمية عن كشف اللورد
« كارنافون » و« هوارد كارتير » لمقبرة توت عنخ آمون !

كان « عامر » يشعر بالسعادة وهو يحوس بين هذه الآثار .
فهو يعرف عنها الكثير ، لولعه الشديد بقراءة كتب الآثار
المصرية القديمة . إلى أن لمح مدخلاً في ركن من أركان الكهف .
فنادى عليهم ودخلوا منه ، فإذا بهم في كهف صغير ، يمتلئ
بالصناديق الخشبية . وكان بعض هذه الصناديق يحتوى على
لهاقات وأفرخ كبيرة من الورق القديم الذى كاد البلى

قال « عامر » : هذه ثروة كبيرة من أوراق البردي الثمين !
 فسألته « عالية » : وما هو البردي ؟ فأجابها : هو الورق المصنوع
 من سيقان نبات البردي ، الذي كان ينمو بكثرة على ضفاف
 النيل . وهو عبارة عن ساق طويلة ملساء تشبه البوص ، وتنمو
 من ثلاث إلى عشر أقدام . وتحمل الساق في أعلاها فروعاً
 دقيقة كالشعر الخشن ، ذات أوراق صغيرة ، وجذور قوية .
 وقد استعمل قدماء المصريين هذا الورق منذ حوالي أثنى عام
 قبل الميلاد . وظلّ هذا الورق لأثني وخمسمائة عام هو الوسيلة
 الوحيدة التي عرفها الإنسان للكتابة . فقاطعته « عالية » قائلة :
 ولكن كيف كانوا يصنعون الورق من ساق هذا النبات العجيب ؟
 فأجابها : أتبع المصريون في صناعته طريقة بسيطة جداً ،
 فكانوا يقشرون السيقان ، ويأخذون منها اللب ويفرطحونه إلى
 شرائط مستطيلة ، يوضع الشريط منها بجوار الآخر ، ثم يضعون
 فوقها شرائط مماثلة مستعرضة ، ثم تغرى بدقيق القمح ، أو بماء
 النيل المملوء بالغرّيز أي الطمي . ثم تلتق حتى تصبح مسطحة ،
 وتجفّ في الشمس !

أخذ « عامر » يخرج بعض اللفائف والأوراق من صناديقها ،

ويتحسّسها بأنامله برفق وعناية ، كأنه يتحسّس فراشة دقيقة .
 وكان الثلاثة يقفون حوله ، وعيونهم تأكل الورق من فرط
 الإعجاب بما فيه من رسوم ملونة وكتابات ورموز !
 بدأ « عامر » يقلب في الأفرخ ورقة ورقة ، وقد نسي
 العالم حوله ، و« عالية » تنهال عليه بأسئلتها التي لا تنتضب .
 وكانت تستمهله ليشرح ما خفي عليهم من صور ورموز ، وكان
 هو يتولّى تفسير ما يعرفه منها .

فهذه الصورة لابن آوى . . إله التحنيط . . وهذا هو
 الكبش « خنوم » . . إله الشلالات التي كان المصريون
 يعتقدون أن النيل ينبع منها . وهذه المرأة التي برأس لبؤة . .
 هي « سخمت » إلهة القوة والحرب . وهذا هو « بتاح »
 رب الحرف والصناعات . وهذا هو « أبوفيس » الثعبان الأرقط ،
 والعدو اللدود الذي يعترض الشمس عند سياحتها إلى عالم
 الآخرة وبالعكس . أما هذه فهي « إيزيس » سيدة السماء
 الجميلة !

ووقفت « عالية » عند ورقة وصاحت : هذا هو « سيد
 قشطة » ، فقال لها « عامر » : هذه هي فرس البحر « تاورت »
 إلهة الولادة ! . وعندما رأت صورة لطائر أخضر صاحت :

هل هذه ببعاء ؟ إنها تشبه « زاهية » ! فأجابها : هذه هي العنقاء ، أو الفونيكس « بنو » وتمثل الروح عند قدماء المصريين .

ثم رأت صورة لشاب تتلوى من رأسه خصلة من الشعر كالضفيرة ، على جانب واحد من صدغه ، فسألته عن معنى ذلك ، فأجابها : هذه الخصلة تعني أن صاحبها أمير ملكي ! وهكذا قضى « عامر » ساعة من الزمن في الشرح والتفسير ، حتى تعب أخيراً من « عالية » وأسلتها .

ثم فتح صندوقاً صغيراً لا يلفت النظر ، فوجده يمتلئ حتى حافته بالعملات المعدنية القديمة : الإغريقية : والرومانية والبطلمية والإسلامية . وصندوقاً آخرًا يمتلئ بالجعارين . رمز الخلق الجديد عند قدماء المصريين ! ياله من كثر لا يقدر بشمن !

قال « عامر » : لا شك في أن عصابة الرئيس « مجاهد » كانت تجد وراء البحث عن هذه الكنوز . وأنها أتت بالصناديق الخشبية الكبيرة لتعبثها فيها بعناية ، ثم حملها بالطائرات إلى جهة مجهولة .

وقال « عارف » : إني ابتدأت أيقن الآن أننا نوجد في وادٍ

قريب . يقع بين وادي الملوك وبين شاطئ البحر الأحمر . وهو مكان مثالي للمهربى الآثار ولصوص المقابر . فهو يتوسط مواقع السرقة ، ومواقع التهريب على البحر الأحمر ! كما أنى لا أشك في أن « مجاهد » يرأس عصابة دولية لسرقة وتهريب الآثار ، أو هو عميلها في مصر !! فأجابه « عامر » : هذا محتمل جداً ، وسوف نكشف النقاب عنه قريباً .

وفي ركن من أركان كهف البرديات والعملات والجعارين ، وجدوا مدخلاً صغيراً ينبعث منه الضوء ، فدخلوا منه وإذا هم وسط كهف صغير أشبه بالحجرة . وكان ضوء الشمس يسطع فيه من خلال ثغرة واسعة في حائط الكهف ، تطل على الخارج كالنافذة ! وكانت الغرفة مؤثثة بأريكة ومائدة منهنالك ، وبعض المقاعد ، وبكلم أسبوطى مزين بالرسوم القولكلورية الصعيدية الجميلة . وكان هذا الكلم معلقاً على الحائط الصخري !!

قالت « عالية » وهي تجلس على الأريكة : هذه الحجرة هي « استراحة » اللصوص والمهربين ! كم كان بؤدنا أن يكون خالتنا « ممدوح » معنا في هذه المعامرة !

نقلوا طعامهم وما حملوه من أمتعة خفيفة إلى حجرة



عارف

عقد المغامرون مجلساً فيما بينهم ، أسموه « مجلس الحرب » وصلوا فيه إلى النتيجة التالية : إن العصابة عرفت مكان الكتر ، وإنهم لا محالة في طريقهم الآن إليه ، وإنهم لن يتمكنوا بأية حال من إيقاف العصابة عن الاستيلاء على ما يريدون . . فهم رجال شرسون أشداء ! .

وكانت المناقشة تدور بينهم عما إذا كان من الأفضل لهم العودة إلى الكهف الصغير بجوار الشلال والاحتباء فيه ، فلا أحد - حتى الآن - يعرف مكانه غيرهم . أم الانتظار في أحد كهوف الكتر الكثيرة ، وليكن مثلاً كهف الغابة البيضاء السحرية الواسع ، إذ يسهل عليهم الاختفاء وراء الأعمدة الجيرية !

« الاستراحة » . وأخفوها تحت الأريكة ، ثم جلسوا يتشاورون . إنهم اكتشفوا الكهف ، ولكن ما الفائدة وهم الآن سجناء الكتر ! لا يعلم بوجودهم أو يشعر بهم مخلوق ، واختفت آثارهم عن العالم الخارجي . وماذا يفعلون بالكتر وقد قارب طعامهم على الفناء ! أياً كلون التماثيل وأوراق البردى والحيوانات المحنطة والجعارين والممياوات !!

وبينما هم يحاولون عبثاً إيجاد مخرج لورطتهم ، إذ يصل إلى أسماعهم صوت أزيز طائرة ! فهرعوا إلى الثغرة يطلون منها إنها طائرة « مجاهد » ما في ذلك شك ! فقال « عامر » : لقد عاد الرجال بالطائرة ! لا بد أنهم انتزعوا السر من « زيدان » المسكين ! وعرفوا منه مكان الكتر الحقيقي . يجب علينا الحذر من الآن فصاعداً !! . .

اتفق رأيهم في النهاية على الانتظار حيث هم ، ومتابعة ما سوف تتمخض عنه الحال . كما قرروا أن يتناب « عامر » و « عارف » و « سمارة » الحراسة كل ساعة خارج فتحة الكهف الخارجية .

كان الظلام قد حلّ ، فاناموا ليلتهم في الاستراحة . إذ من غير المعقول أن يبحث « مجاهد » وعصابته عن الكتر في بهم الليل . وأن يبدأ « عامر » أولى نوبات الحراسة في الصباح الباكر عند بزوغ الشمس ، ثم يتبعه « عارف » « سمارة » . كان « عامر » يجلس على الشرفة الخارجية مع مطلع الشمس ، وفي يده منظاره يدور به في أرجاء المكان القفر . فكان لا يرى سوى الجبال والتلال والصخور والأودية والأشجار . ظلّ هكذا حتى قاربت نوبته على النهاية ، وكان يصوّب المنظار نحو شجيرة كثيفة في أسفل الجبل ، خيل إليه أنها كانت تهتر ! من الجائر أنها تهتر بفعل الهواء ، أو أنها تأوى أرنبا أو ابن آوى أو ماعزاً جلياً !

ولكنه أصيب بصدمة كادت تفقده توازنه ، وتطيح به من أعلى الشرفة ! تحجرت يده على المنظار ، فقد كان « مجاهد » يحتمى بالشجرة ، ويتطلع إليه في نفس الوقت بمنظاره ،

حتى تلاقى النظرات . . من خلال العدسات !

إذن لقد جاء « مجاهد » وراء الكتر ! أجاها هنا مصادفة . أم أنه حصل على الخريطة من العجوز « زيدان » ؟ وماذا بهم الآن وقد اكتشف أخيراً مكان الكتر !

أسرع « عامر » في الدخول لتحذير الآخرين ، وأخبرهم بوصول « مجاهد » واكتشافه الكهف ، وأشار عليهم بالاختباء في كهف الغابة السحرية الخارجية ، حيث يسهل عليهم الهرب إذا ما دخل « مجاهد » وعصابته كهف الآثار .

ولكن « عالية » اقترحت عليهم أن ينتظروه في كهف الكتر المظلم وسط التماثيل . ويمكنهم أيضاً أن يختبئوا وراءها ، أو أن يقفوا جامدين بلا حراك ، فقد يظنهم « مجاهد » من بين التماثيل الحقيقية ! ! فوافقوا على هذا الاقتراح المثير لما فيه من طابع المعامرة ، ودخلوا كهف الكتر ، ووقفوا بلا حراك ، وقد اتخذ كل منهم وضعاً فرعونياً معيناً !

وفجأة همس لهم « عامر » قائلاً : كان يجدر بنا أن نقفل باب الكتر الخشبي علينا ، « فمجاهد » لن يتمكن من التوصل إلى طريقة فتحة ! فقال « عارف » : الأفضل أن تتركه مفتوحاً ، إذ لو أغلق « مجاهد » الباب علينا بالمرلاجين



جحظت عينا « مجاهد » وهو يصوب مسدسه إلى التائبيل بيد مرتجفة . وصاح فيهم بصوته الجهورى الأجهش : ارفعوا الأيدي ! ..

الحديدين من الخارج لسجنتنا هنا إلى الأبد !
 أما « زاهية » فقد اختارت تمثالاً للإله « حرمخييس »
 وله رأس صقر ، ربما ظنته من أبناء عمومتها ، ووقفت على كتفه
 صامته ، كأنما هي تدرك رهبة الموقف !
 وبعد قليل سمعوا صوت صرير الباب الخشبي ، وشبح
 « مجاهد » يطلّ بحذر ، وميض ماسورة مسدسه يلمع في
 الظلام !

جحظت عينا « مجاهد » وهو يصوب مسدسه إلى التائبيل
 بيد مرتجفة ، وصاح فيهم بصوته الجهورى الأجهش : ارفعوا
 الأيدي !! ..

كان المغامرون يكتمون الضحكات بالرغم من الخطر
 المحقق بهم - وشرّ البلية ما يضحك ! - فقد خمنوا أنه اعتقد ،
 كما اعتقدوا هم من قبل ، أن الكهف يعجّ بالأحياء !
 وعلى حين فجأة رنّ صوت « زاهية » في أرجاء الكهف
 وهي تقول : « زاهية » مسكينة ! فارتبك « مجاهد » وصرخ
 يقول : من هناك ! .. ثم تقدّم خطوة إلى الأمام فاكتشف
 حقيقة التائبيل . فضحك وقال كأنه يعاتب نفسه على غيابه :
 أنا غبي ! .. وهنا صرخت « زاهية » : غبي ! غبي ! ..

فصاح « مجاهد » وهو يشهر مسدسه : من هناك ! لا بدّ أنه أحد الأطفال ! انتظروا حتى أضع يدي عليكم ياملاعين ! قال هذا ثم هرول خارجاً من الكهف ، وقفل الباب الخشبي وراءه ، وأحكم غلقه بالمزلاجين الحديديين !! ..

صمتوا طويلاً والذعر يتملكهم ، إلى أن نطق « عامر » وقال : أسمعتم هذا ! نحن الآن سجناء ! فالباب لن يفتح من الداخل . لقد كنت مُصيّباً عندما اقترحت أن نختنق في الكهف الخارجى . والآن ما رأيك يا « عالية » في أفكارك التيرة !! ..

صمتت « عالية » وهي تشعر في قرارة نفسها بالكسوف والخرج ، فهي قد تسببت باقتراحها في هذه المصيبة ! وقال « عارف » : سنبقى هنا في مكاننا حتى يطلق « مجاهد » سراحنا .. هذا إذا فعل !! وسرى المجرمين بأعيننا وهم ينقلون الآثار قطعة قطعة ، يعبثونها في الصناديق وينقلونها بالطائرات !

وقال « سمارة » : إنى أصبحت لا أميل إلى هذه المغامرة . لو كان في وسعنا أن نفعل شيئاً لاختلف الأمر .. ولكننا عاجزون تماماً !

لم يكن أمامهم إلا الانتظار . فتوجهوا إلى الاستراحة ،

جلسوا على المقاعد الخشبية صامتين مهمومين .

وبينما هم كذلك ، إذا بهم يسمعون صوت طائرة ، فذهب « عامر » إلى الثغرة المفتوحة ، وأطلّ منها وصاح في دهشة : إنها طائرة صفراء اللون ! تتبعها من بعيد طائرة زرقاء ! إنهم يتسلّحون بالمزيد من الطائرات والرجال !

قال « سمارة » : والآن فلنتظر أن يحدث الكثير .. وقالت « عالية » : باللعار ! وسنقف أمامهم مكتوف الأيدي ! وقال « عامر » : لو أمكننا فقط أن نتصل بخالنا « ممدوح » .. ! ولكن كيف ؟ لا وسيلة أمانا للخروج من هذا الكهف .. أو من هذا الوادى الملعون . فقال له « سمارة » : بل توجد وسيلة واحدة ! .. فسأله « عامر » بدهشة : وما هي ؟ فأجابه « سمارة » : بالطائرة ! ! ..

ظلّ « عامر » يفكر طويلاً إلى أن قال : نعم .. هذا صحيح .. فالطائرة هي الوسيلة الوحيدة يا « سمارة » . لا شك أنها مغامرة كبيرة ومجازفة خطيرة .. ولكنى سأقدم عليها .

سأقدم الصمت إلى أن قطعه « عارف » فقال : ما ذاتعنى ؟ إنك تجهل قيادة الطائرة ! .. فأجابه « عامر » : إذا كنت أجهل قيادة الطائرة ، إلا أنه يمكننى أن أختبئ في إحداها ! !

فقال له « عالية » وصوتها يتهدج : أنا أعارض هذه الفكرة !
فماذا لو اكتشفوك وقبضوا عليك ! لا تتركنا يا « عامر » !
فطيب « عامر » خاطرها وقال : هذه هي الوسيلة الوحيدة
أماننا يا « عالية » . وستمكنين هنا مع « عارف » و « سمارة »
و « زاهية » ، حتى أعود إليكم بالنجدة مع خالي « ممدوح » !
هذا كلام سهل . . . ولكن هل يمكن تحقيقه !..

قال « عارف » : ولو أن الفكرة جميلة ، إلا أنها تبدو
مستحيلة التنفيذ ! كيف ستصل إلى الطائرة ونحن محبوسون
هنا يستحيل علينا الخروج !؟

فقال « عامر » بعد تفكير عميق : عندي خطة ! ستظلون
أنتم في مكانكم هنا في انتظار وصول « مجاهد » وعصابته .
أما أنا فسأتحوّل إلى تمثال فرعونى في متحف الآثار !!! وسوف
ينخدع الرجال في كما انخدع فينا « مجاهد » من قبل . وسأنتهز
فرصة انهماك العصابة وأتسرّب إلى الخارج . وسأذهب تَوّاً
إلى المرء وأختي . داخل إحدى الطائرات انتظاراً لإقلاعها .
ألم ننجح في أن نختبي كلنا في طائرة من قبل ؟ أما ما سوف
يحدث بعد ذلك فسأتركه للظروف ، ولكنى آمل خيراً . فليس
أماننا من وسيلة غير ذلك . . . وهى آخر خيط من أمل تبقى لنا . . .

توجّهوا جميعاً إلى كهف الآثار ، واختاروا له غطاء تابوت
ملون يرتكر واقفاً إلى حائط الكهف ، بجوار الباب الخشبي ،
واختبأ وراءه وكأنه مومياء ! فضحكت « عالية » وهى تقول له :
لن يعثر أحد عليك هنا ، حتى لو كان مدير مصلحة الآثار نفسه
قال « عامر » : والآن ادخلوا ولا تقلقوا علىّ ، وسأعود
إليكم قريباً بالنجدة مع خالنا « ممدوح » .

• • •

ظلّ « عامر » يربض في مكانه وراء غطاء التابوت الملون
ما يقرب من الساعة ، إلى أن سمع صوت المزلاجين وهما
ينفتحان ، ووقع أقدام كثيرة تدخل الكهف ، وأصوات تتكلم
بنبرات ملؤها الدهشة والتعجب والفرحة . تعرّف من بين هذه
الأصوات على صوت « مجاهد » و « معروف » فقط . أما صوت
« حليمو » فلم يكن من بينها ، إذ كان ما زال مقيداً بالحبال
في جذع الشجرة ! كيف حاله ياترى ؟ هل مازال مغشياً
عليه ؟ أم أنه يموت الآن جوعاً وعطشاً ؟

ثم رأى الضوء فجأة وهو يغمر الكهف ، فأدرك أن العصابة
قد استعدت بكشافات قوية . ثم سمع صوت الأقدام وهى
تغادر كهف التماثيل إلى كهف البرديات والجعارين . وعندما

سكت الصوت تماماً وتأكد من خلو المكان ، أطلّ برأسه خلصة فوجد نفسه وحيداً ، فأسرع في الخروج وهو يعدو بأقصى سرعته !

ولما وصل إلى الكوخ لم يجد أثراً لمخلوق ، فأدرك أن العصابة بكامل أفرادها في الكهف ، ولا غرابة في ذلك ، فهم في حاجة إلى كل يد عاملة لتقل الكنوز الثميلة ! وشاهد الطائرات الثلاث ، البيضاء والصفراء والزرقاء ، وهي تجثم متجاورة على المرء .

كان لديه متسع من الوقت للبحث في الكوخ المفتوح عن دليل ضد العصابة ، ويكشف عن أغراضها ، ويفضح أفرادها . ثم العثور بعد ذلك على مكان مناسب في طائرة من الطائرات الثلاث يختنق فيه ، فالعصابة لن تقطع المسافة الطويلة بأحماها الثقيلة في أقلّ من ساعتين أو ثلاث ساعات ! دخل الكوخ ، فرأى بعض الملابس على السرير ، وسترة معلقة على مسمار في الحائط . ولما بحث في جيوبها عثر على مفكرة صغيرة أخذ يقلّب صفحاتها . كانت تحوى أرقاماً وجُملاً لم يفقه منها شيئاً . فأدرك أنها مكتوبة بالشفرة ! .. لا بأس .. فهي ليست من مهامّه .. بل هي من اختصاص

خاله « ممدوح » ، عليه هو أن يفكّ ألغازها ورموزها ! فدسّ المفكرة في جيبه وخرج مسرعاً إلى طائرة الرئيس « مجاهد » البيضاء ، ولما عاينها وجد في مؤخرتها بعض الملابس الثقيلة والبطاطين . فقرر أن يختنق تحتها بعيداً عن عيونهم ، حتى يصل إلى إلى أين ؟؟ .. هذا لا يهمّ ما دام خارج الوادي الرهيب ! وكان يشعر بالتعب والإرهاق ، فدسّ نفسه تحت كومة الملابس وراح في النوم .

• • •

أما « عارف » و « سمارة » و « عالية » ، فقد ظلّوا في غرفة « الاستراحة » ، إلى أن دخل عليهم رجال العصابة ، وكانوا ستة رجال .

كانت مفاجأة مذهلة لرجال العصابة أن يجدوهم في مثل هذا المكان . فأخذوا في استجوابهم ونهرهم وتهديدهم في قسوة متناهية ، ولكنهم لزموا الصمت المطبق ، على حين كانت « زاهية » تختنق تحت الأريكة ! وأخيراً قال « مجاهد » : على كل حال لا خوف علينا من هؤلاء الأطفال !! ما دنا سنغلق عليهم باب الكهف . والآن هيا بنا نقل دفعة من الكتر إلى الطائرات فوقتنا ثمين ! وعندما نرجع ثانية سيكون لنا معهم

حساب عسير !! .

وعندما غادر رجال العصابة الكهف بعد أن أحكموا غلقه عليهم ، هدأت أعصابهم ، وقال « عارف » : وماذا سنفعل الآن ؟ ..

لا شيء طبعاً .. ماذا يمكنهم أن يفعلوه ؟ يالها من ورطة .. ! ليس أمامهم إلا انتظار وصول « عامر » .. ! ولكن ماذا يفعل « عامر » الآن ؟ ! هل تمكن من الفرار أم إنه ما زال مختفياً وراء التابوت ؟ أورياً في الطائرة ! . أورياً اكتشفته العصابة وهو الآن بين أيديهم !

وكانت « عالية » تستند على الأريكة وهي تتأمل الكلم الأسيوطي برسومه الفولكلورية الرائعة . وكانت تعجب لهذا الكلم المعلق على الحائط . أما كان الأجلر وضعه على الأرض الصخرية العارية الباردة !! . فقالت « لعارف » و « سمارة » : ساعداني لتنزع هذا الكلم ونيسطه على الأرض .

كشفت إزاحة الكلم عن مفاجأة أذهلتهم ! فقد كان يخفي وراءه ثغرة في الحائط الصخري ، يبلغ قطرها حوالي نصف متر تقريباً ..

وقفوا أمام الفتحة الصغيرة وكأنها طاقة القدر فتحت لهم !

إلى أين ستقودهم هذه الثغرة ؟ إلى الخلاص أم إلى طريق مسدود !

صوّب « عارف » البطارية داخلها فبدد ضوءها الظلام ، ورأى طريقاً ضيقاً لا يحد عمقه البصر ! فقال « سمارة » : نحن نجهد ما ينتظرنا في هذه المفازة ، ولكنها مهما كانت فهي أرحم لنا من هذا السجن وآمن .. تعالوا نجرب حظنا ، وسندل الكلم في مكانه كما كان ، لنخفي أثرنا عن العصابة عند عودتها .

دخلوا الواحد وراء الآخر ، تسبقهم « زاهية » تستكشف لهم الطريق ! وساروا نصف ساعة في سرايب ودهاليز ضيقة متعرجة ، نحتها الطبيعة في الصخر الأصم ، حتى كاد اليأس يصيبهم . وبغته دخلوا كهفاً واسعاً ، وسمعوا صوت « زاهية » يأتهم وهي تغني وتقهقه ، وتقلد مواء القط « مرجان » وصفير القطار . وكان صدى صوتها يتردد في أرجاء الكهف .

هذا الصدى مألوف لديهم .. ! إنه صدى الكهف المتكلم ! . فصاحت « عالية » بأعلى صوتها : الكهف المتكلم .. فسمعوا صدى صوتها يتردد : المتكلم ! .. المتكلم ! .. المتكلم ! ..

• • •

ما كادوا يدخلون مأواهم في الكهف الصغير عن طريق الكهف المتكلم ، حتى سمعوا الأزيز المعهود ، وشاهدوا الطائرات الثلاث وهي تحلق فوق رؤوسهم .

قالت « عالية » : إنهم يحملون الكنوز إلى مكان مجهول . . . وسيعودون لنقل ما بقي في الكهف من آثار . ولكن هل « عامر » معهم؟؟ فأجابها « سمارة » : إن ما نعرفه عن « عامر » يؤكد لنا أنه في إحدى هذه الطائرات !

ناموا وهم يشعرون بالطمأنينة ، فقد نجوا من شر « مجاهد » وعصابته ، وعلى أمل عودة « عامر » قريباً .

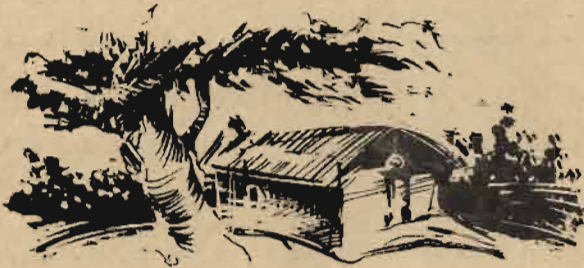
وفي الصباح استيقظوا كالعادة على صوت أزيز الطائرات ! أهو « عامر » وصل لإتقاذهم ؟ أم هو « مجاهد » وعصابته ؟ إنهم لا يعتقدون أنه « عامر » . فالوقت لم يتسع أمامه للبحث عن خالهم « ممدوح » .

قالت « عالية » : كان بودي أن أرى وجه « مجاهد » حينما ترسم عليه الدهشة والمفاجأة وهو يدخل الكهف ولا يجدنا ! وكان « سمارة » يفكر في ركن من الكهف الصغير ، وقال لهم : سوف تجتاز العصابة الطريق أمامنا بعد قليل وهي في سبيلها إلى الكثر . سنراقبها بحذر ما أمكننا ، إلى أن تبعد ،

ثم سأتعقب أنا أثرها حتى تدخل الكهف !! .. ما رأيكم في ذلك ؟

فسأله « عارف » : وما جدوى هذا التعب !.. فأجابه « سمارة » وهو يضحك : وعندما أتأكد أنهم دخلوا جميعاً كهف الكثر ، سأنتصص وراءهم ، وأقفل عليهم الباب الخشبي بالمزلاج !! ..

فصاحت « عالية » وهي تهلل من الفرح : وسنسجنهم كما سجنونا ! يالها من فكرة بارعة !
وصاح « عارف » : وأخيراً .. لقد وقعت العصابة في المصيدة !





العقيد «مدوح»

أما «عامر» فقد استيقظ فجأة على صوت المراوح وهي تدور ، والطائرة وهي تعلو في الجو . لم يكن يجرؤ على الحركة ، وأية إشارة منه قد تدلّ على مخبئه .
 كاد الحرنخقه وهو يتجسس تحت الملابس والبطاطين الثقيلة . ولكن العذاب يهون في سبيل الخلاص .

وعندما حطت الطائرة على الأرض ، نظر من فجوة صغيرة في مخبئه ، فرأى «مجاهد» و«معروف» وهما يغادران الطائرة ، يحملان بينهما صندوقاً صغيراً ، تعرف عليه توتاً ، فهو صندوق العملات المعدنية الثمينة .
 وكان «عامر» قلقاً فقد يتطلع أحدهما وراءه ، أو يرجع ليأخذ شيئاً من كومة الملابس . فتفضل المخامرة .

كان ضوء الفجر يلوح في الأفق عندما نظر «عامر» من نافذة الطائرة . رأى لفة فأس من الرجال الأشداء يرحبون «بمجاهد» و«معروف» ، ثم يوجهون جميعاً صوب كوخ صغير بعيد . وكانت الطائرة تقف في سهل منبسط على الرمال اليابسة . وكانت الأضواء الخافتة القليلة تتناثر في الصحراء . كما رأى عن بُعد عدداً من سيارات النقل الضخمة تقف في الانتظار !
 انتقل «عامر» إلى الجانب الآخر من الطائرة ونظر من النافذة ، ففوجئ بما جعل قلبه يقفز من بين جنبه من الفرح . إنه ماء البحر يلوح بعيداً وهو يتلألأ تحت ضوء الفجر ! .. أهو ماء المحيط ! أو البحر الأبيض أو الأحمر ! أهى بحيرة المتزلة أو البرلس أو البردويل في الشمال ، أو قارون في الفيوم ؟
 أوقد تكون بحيرة تانا في الحبشة .. الله أعلم ! ..

مهما يكن ، هذه هي ذى الفرصة سنحت أمامه . خرج من باب الطائرة وهو يتلصص ، فوجد المكان خالياً . فأخذ يعدو نحو البحر ، وكأنه في مسابقة للمائة متر عدواً ! وفي الاتجاه المضاد الذي سلكه «مجاهد» .
 توقّف عن العدو وهو يلهث بعد أن ضمن السلامة وأمن من المطاردة . وسار على مهل لنصف ساعة ، حتى وصل إلى

طريق أسفلى جميل يمتد بمحاذاة الشاطئ المتعرج .
وقف وحيداً على حافة الطريق العام وهو يتلفت حوله
كالتائه ! إنه لا يدرى أين هو ! على كل حال لا يهم الآن
أين هو ! المهم أنه خرج بسلام من الوادى الرهيب .
لاحظ له فى الأفق الأضواء الكاشفة لسيارة تنهب
الأرض ، وكانت تقرب منه رويداً وهي تحمل له معها الأمل .
كانت سيارة « جيب » صفراء اللون . فأشار لها بالتوقف
فوقفت بحذائه ، وقرأ على لوحاتها المعدنية كلمة « سواحل » .
أخيراً ! الحمد لله إنه فى مصر ! وليس فى الحبشة !
كانت السيارة تحمل عدداً من الجنود ، وصاح فيه
السائق بلهجة الأمر : قف ! من أنت ؟ فأجابه « عامر » :
أين نحن ؟ فأجابه السائق وهو ينظر إليه بعين الشك : بالقرب
من الغردقة ! ألا تعلم أين أنت !! وماذا تفعل هنا ؟ فقال
« عامر » وقد هدأت أعصابه ، ودخلت الطمأنينة إلى نفسه :
إنى أبحث عن خالى العقيد « ممدوح » قائد السواحل .. !
وما كاد السائق يسمع منه ذلك حتى برقت عيناه من
الدهشة والمفاجأة . وترجل الجنود من السيارة وأحاطوا « بعامر »
من كل جانب ، وقال السائق : أهو أنت !! وأين إخوتك ؟

إن قوة السواحل بأسرها لا عمل لها إلا البحث عنكم !
والدوريات تجوب المنطقة ليل نهار فى أتركم . . أين اختفيتم ؟؟ ..
فأجابه « عامر » : خذنى حالاً إلى العقيد « ممدوح » .
دخل « عامر » فجأة على خاله « ممدوح » فى مقر قيادته .
وما كاد يراه حتى هبّ واقفاً وقد ذهل من المفاجأة السارة ،
وصاح قائلاً : ماذا ! « عامر » ! أين كنتم ؟ هل أتم بخير ؟
وأين « عارف » و « عالية » و « سمارة » ؟ فقال « عامر » : لقد
أوقعتنا الظروف والصدف على الرغم منا وسط مغامرة غريبة .
ثم أخذ يقص على خاله ما حدث بالتفصيل ، إلى أن
قال : على فكرة ! لقد عثرت على هذه المفكرة .
تصفح « ممدوح » المفكرة بعناية وقال : إننا نتعقب هذه
العصابة الدولية من المهربين منذ مدة طويلة . وهذه المفكرة
تحوى الشفرة التى يستعملونها ، وأسماء رجال العصابة وعناوينهم ،
وسيكونون عما قريب فى أيدينا ، يسقطون كالثمرة الناضجة !
إن هذه المفكرة لا تقدر بثمن ! إنك تستحق وصاماً يا « عامر » .. !
ثم بدأ العقيد « ممدوح » فى اتصالات تليفونية عاجلة ،
وفى إصدار الأوامر لرجاله ليكثروا على أهبة الاستعداد .
ثم قال « لعامر » : سيزودنا الجيش بطائرتى هليكوبتر

لمفاجأة العصابة في الوادي . فقال له « عامر » : ولكني لا أعرف
الطريق إلى هذا الوادي !! فأجابه « ممدوح » : هو مبین
في هذه المفكرة ، والطيارون المصريون يعرفون كل شبر في هذه
السلسلة من الجبال التي تمتد على طول الساحل حتى حدود
السودان ! والمهم أن نقتد « عارف » و « عالية » و « سمارة »
أولاً . أما العصابة فسنبض عليها في النهاية حتماً . فتحن نعرف
الآن كل شيء عنها ، والفضل للمفكرة التي زودتنا بها !

قال « عامر » : لقد تركت « عارف » و « عالية » و « سمارة »
و « زاهية » وهم سجناء في الكهف . ولا ريب أن « مجاهد »
قد عاد الآن إلى الوادي ، فهو يروح ويحيى في حرية وبلا توقف .
فيجب علينا الإسراع قبل أن يلحق بهم الأذى على أيدي العصابة
فقال « ممدوح » : سأطير مع رجالى بعد ساعتين ،
وستبقى أنت هنا ، لأنى أتوقع معركة عنيفة بالرشاشات مع
العصابة ! فقاطعه « عامر » : ماذا تعنى ! لقد عاصرت المغامرة
منذ بدايتها ، وتريدنى الآن أن أتخلى عنها ، وأن تحرمنى من
نهايتها !! ومع ذلك « فعارف » و « عالية » و « سمارة » معكم
وسط المعركة . ولا بد أن أشاركهم الخطر !
فضحك « ممدوح » وأجابه : كنت أداعبك . فكيف

أتركك هنا وحلك ؟ ستأتى معنا طبعاً !

* * *

هبطت الطائرتان عمودياً على المر الضيق ، وهما تحملان
العقيد « ممدوح » و « عامر » ، وعشرة من جنود السواحل
البواسل المسلحين بالمداغ الرشاشة !
وكانت الطائرات الثلاث ، البيضاء والصفراء والزرقاء ،

تقف متجاورة وهي خالية من ركابها !

قال « عامر » لممدوح : لقد وصلت العصابة . فلنسرع
ونفاجئها في الكهف حيث لا مجال هناك لهرب واحد منهم !
وسنمر الآن على حجرتنا في الكهف الصغير .

سارت القافلة العسكرية يقودها « عامر » إلى أن وصلت
قرب الإسطل ، حيث كان « حليمو » لا يزال في مكانه ،
مقيداً في الشجرة ، وهو يكاد يشرف على الهلاك .

فوجئ الجميع بالمنظر الغريب ، وقال « ممدوح » : من
هذا ؟ ومن قيده هكذا ؟

أجابه « عامر » : هذا « حليمو » أحد أفراد العصابة ،
قيده بنفسى في الشجرة ، لندعه الآن كما هو وسنعود إليه
في طريق الرجوع لنحمله معنا !



قال العقيد «سلوح» : من هذا ؟ ومن قيده هكذا ؟

واصلوا السير إلى أن وصلوا إلى الكهف الصغير ، حيث كانت تنتظرهم المفاجأة الكبرى ، والتي لم تكن تحظر «لعامر» على بال !

كان «عارف» و «عالية» و «سمارة» و «زاهية» يستقبلونهم بالصياح والتهليل والفرح .

ذهل «عامر» من المفاجأة ، فقد تركهم سجناء في كهف الكثر ، فإذا بهم الآن في الكهف الصغير . فكيف أمكنهم الإفلات والخلاص ! يالهم من شياطين حقاً !

روى عليهم «عارف» قصة هربهم ، وكيف أن «سمارة» أغلق باب الكثر على العصابة . . . فالعصابة دخلت الآن كالفران في المصيدة !

* * *

استسلمت العصابة بدون أية مقاومة أمام الهجوم العنيف المباغت ، ووقعت في يد العدالة لتلقى جزاءها العادل .

* * *

حلقت الطائرات العمودية العسكرية في الجو ، وكان المغامرون ، و «زاهية» في قفصها بين أحضان «سمارة» ، ينظرون تحتهم إلى الوادي العجيب للمرة الأخيرة !

فقال « ممدوح » : انظروا إلى الوادى جيداً ، فسوف
تحتل أخباره الصفحات الأولى في جميع الصحف غداً :
وادى الكثر ! ..

قال « عامر » : بل الوادى الرهيب !

صمت العقيد « ممدوح » طويلاً وهو يتطلع إلى الأودية
والجبال ثم قال فجأة : أتذكرون أنى قلت لكم قبل السفر
إننى منمك فى عملية سرية خطيرة ، وإننى سأخبركم بتفاصيلها .
فقالت « عالية » بلهفة : نعم .. نتذكر ذلك جيداً ..
ما هى هذه العملية ؟ وهل تمت ؟ ..

فأجابها « ممدوح » وهو ينظر إلى المغامرين بفخر وإعجاب :
تمت والحمد لله بنجاح باهر . وأظنكم تعرفون تفاصيلها الآن
أكثر منى .. هذه العملية هى تعقب هذه العصابة بالذات
والقبض عليها ، والعثور على كنوز الآثار الفرعونية . والآن تم
القبض عليها بفضل مغامرتكم وشجاعتكم وإقدامكم .

(تمت)



مرجان



عارف



عالية



عامر

لغز الوادى الرهيب

على أثر غلطة كبيرة وقع فيها المغامرون الثلاثة : « عامر » ،
« عارف » ، و « عالية » ، ومعهم « سمارة » ، والبيغاء « زاهية » الداهية ،
وجدوا أنفسهم محاصرين وسط واد رهيب ، بجباله ودروبه ومغاوزه
وكهوفه السحرية . وهم يقتنون أثر أخطر عصابة دولية تبحث عن
أثمن كنز في العالم !

فهل تمكنوا من الإفلات من هذا الوادى الرهيب ، الذى لا مدخل
له ولا مخرج ؟؟ . وهل قبضوا على أخطر عصابة دولية ؟؟ وهل اكتشفوا
أثمن كنز فى العالم ؟؟

هذا ما ستجد له جواباً فى لغز الوادى الرهيب !



دارالمعارف